رسائل نادرة
٥

من ادب التشيع بالاندلس

درر السمط في خبر السبط

لابن الأَبّار الاندلسي
(٥٩٥ ـ ٦٥٨ هـ)

تحقيق
د. عبد السلام الهراس سعيد أحمد أعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

أحيت مطابع المغرب العربي (بتطوان) عام ١٩٧٢ بهمة استاذين جليلين هما : الصديق (سعيد أحمد أعراب) و (الدكتور عبد السلام الهراس) مخطوطة نفيسة ، كنا نسمع بها ولم نرها كاملة وهي كتاب (درر السمط في خبر السبط) من (أدب التشيع في الاندلس) ، لعالم جليل من الفردوس المفقود هو الشهيد : ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الابار القضاعي البلنسي . المولود في (بلنسية) سنة ٥٩٥ هـ بشهر ربيع الثاني - والمتوفى (ببجاية) في الشمال الافريقي سنة ٦٥٨ هـ بشهر محرم الحرام . حيث اعدم قعصاً بالرماح ، بعد أن عذب عذاباً شديداً ، ثم احرقت جثته ، مع مكتبته وانتاجه الضخم . ومن غرائب المصادفات أن مقتل هذا الشهيد جاء في العشرين من محرم بعد العشرة الاولى من هذا الشهر الحرام ، الذي قتل فيه ابو الشهداء الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) في كربلاء .

ان مأساة الامام الحسين (ع) هي مأساة خالدة هزت العالم الاسلامي شرقاً وغرباً ، وظلت أصداؤها تهز الدنيا العربية ، مع مسيرة التاريخ .

لا تُنسى أحداثها ، ولا تتلاشى أصداؤها ، ولا يُجف دمعها ، ولا تشفى كلومها .

و (ابن الأبار) البلنسي ، الذي هو وليد التربة الاندلسية ، ذات الطابع الاموي ، قد هزته أحداث التاريخ الاسلامي ، في مأساة (الطف) ، فاراد ان يستعرض أحداثها ببراعة الأديب ، ودراية المؤرخ . فألَّف هذه الدراسة الطريفة ، التي جاءت مشحونة بالأخبار المثيرة ، والاستعراضات الرصينة والنتف الادبية ، والحوادث التاريخية ، منذ عهد الرسالة المحمدية ، إلى مقتل الحسين بن علي (ع) .

تحقيق الكتاب :

حقق الكتاب عن ثلاث نسخ مخطوطة قديمة وهي :

١ - نسخة الاستاذ السايح في المغرب .
٢ - ونسخة المكتبة الوطنية بمدريد .
٣ - ونسخة الاستاذ الكتاني في الخزانة العامة بالرباط .

وكان اعتماد المحققين على نسخة (الرباط) ، واشارا عن وجود نسختين اخريين (بتونس) و(الجزائر) لم يطلعا عليهما .

ان جهود الاستاذين الكريمين عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب ، انما هي جهود مضنية مُتعبة في عالم التحقيق الصعب المراس . نظراً للتشويه ، والتحريف ، والتصحيف ، الذي يلاقيه المحقق في مخطوطاتنا القديمة ، لما اصاب بعضها من تلفٍ وضياع .

ويضم الكتاب مقدمة وأربعين فصلاً .

كانت المقدمة تدور حول (ابن الأبار) البلنسي ، والتعريف به . وما ألف من مؤلفات نثرية ، وما نظم من شعر بديوان ، وما مرّ في مسيرة حياته من أمال وآلام ، منذ أن رأى الحياة في (بلنسية) الى أن قتل ظلما وعدواناً في بجاية من بلاد أفريقية الشمالية في عهد (الدولة الحفصية) في النصف الاول من القرن السابع الهجري .

كما ضمت (المقدمة) بحثاً شيقاً عن (التشيع في الأندلس) الى عصر الحموديين الأدارسة أخذاه بتصرف من (الدكتور محمود مكي) في مجلة الدراسات الاسلامية بمدريد .

ويبدو أن التشيع له جذور ظهرت منذ أول قيام الحكم الأموي برئاسة (عبد الرحمن الداخل) حيث قام ثائر من ثوار الاندلس عليه وهو (عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر) الذي يمثل جنود اليمن ورأي أصحاب (يوسف الفهري) . وذلك في سنة ١٤٣ هـ حيث أدت ثورته الى مقتله . ويثور من بعده في حركة التشيع بالأندلس (الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الأنصاري) سنة ١٦٥ هـ . وكانت نتيجة ثورته المهادنة مع (عبد الرحمن الداخل) . ويثور من بعده ثائر بربري من (وادي الحجارة) اسمه شيقا بن عبد الواحد المكناسي نسب نفسه لآل الرسول (ص) وامتدت ثورته من سنة ١٥١ هـ الى ١٦٠ هـ ، ثم اغتيل واستلم زعامة ثورته (وجيه الغسباني) الذي آمن بحركته الى سنة ١٦٢ هـ .

واستمرت الثورات على الأمويين الى سنة

٢٣٧ هـ . في قيام معلم قرطبي اسماعيلي المذهب .

«ولولا قوة (عبد الرحمن الناصر) لتغير تاريخ الأندلس» من الوجهة العقائدية نظراً لقيام دولتي الأدارسة ، ، والفاطميين في الشمال الأفريقي .

«وكانت الأندلس أموية ذات عقلية خاصة ، ولم يجد المذهب الشيعي تربة ملائمة له هناك باستثناء أفراد نعتوا بالتشيع ، وكانت سياسة الأمويين تجاه الشيعة تقوم على محاولة تجاهل آل البيت ، كما تدلنا الرؤيا التي رآها الامير محمد أثناء اهتمامه بشأن تعيين قاضٍ .» (راجع تاريخ قضاة قرطبة/ص ١٧)

وذكرت (المقدمة) عن اهتمام الأمويين بالشيعة وحركتهم في الأندلس أن الف (الحكم المستنصر) كتاباً عن أنساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب وألف (ابن الشبانسية) كتاب (التاج السني في نسب آل علي) وضع في خزانة (الحكم المستنصر) .

ثم تفتح أدب الشيعة عندما دالت دولة بني أمية وظهرت دولة الادارسة من بني حمود ، حتى قضي على مطامح الأمويين ، وبلغ الأمر بهم أن اسموا نفوسهم في عهد الطوائف (بالقرشيين) لما انحرف الناس عنهم ، وكانوا يذكرون أعمال بني امية في الحسين رضي الله عنه .

وكان الشاعر الأموي (أيوب بن سليمان السهيلي) يضيق ذرعاً بنسبه في عهد المرابطين فنصحه الفيلسوف (ابن باجه) أن يرحل فراراً من نسبه فقال الشاعر قولته المشهورة «الحمد لله الذي أسعدنا به أولاً - وأشقانا به أخيراً» (المغرب في حلى المغرب ١/ ٦١)

وقد أشارت (المقدمة) القيمة عن شعراء كانت ميولهم شيعية ، وخصوا الامام الحسين وذريته ومصابه بأشعارهم ، ونددوا بأعدائه وقتله .

ومنهم :

١ - أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال ٤٦٥ هـ - ٥٤٠ هـ

٢ - صفوان بن ادريس ٥٦١ هـ - ٥٩٨ هـ

٣ - ناهض الوادي أشي ... - ٦١٥ هـ

٤ - موسى بن عيسى الناصف ... - ٦٢٧ هـ

٥ - أبو عبد الله محمد بن التجيبي ٥٤٠ هـ - ٦١٠ هـ

٦ - أبو البقاء الرُّندي ٦١٠ هـ - ٦٨٤ هـ

٧ - ابن جابر الالبيري

٨ - ابن هاني الأندلسي

٩ - الأمير يوسف الثالث من بني الأحمر

١٠ - وابن الأبّار البلنسي القضاعي

هذا الشاعر الأخير الذي صوّر مأساة أبي الشهداء الامام الحسين (ع) ومقتله بصورة تاريخية ، تدرج بها من رسالة جده الرسول محمد (ص) - الى نشأته وحياته ومقتله .

وقد بكى (ابن الأبّار) الحسين الشهيد شعراً في كتاب آخر له أسماه «معدن اللّجين - في مراثي الحسين» أشار عنه ووصفه (الغبريني) صاحب عنوان الدراية .

وهناك آراء تتنازع بين عقيدة (ابن الأبّار) هل هو شيعي المذهب أم لا ؟ وسواء صحت شيعيته أم لم تصح (فان الدين عند الله الاسلام) .

وانا أعتقد بأن حب آل بيت الرسول عند المنصفين ، وعند أصحاب الرأي السليم ، هو من شروط الايمان بالله وبرسوله ورسالة الاسلام . وكلما بعد الانسان عن مجال التعصب الذميم ، وتقرب الى الفهم الصحيح ، ودرس الحقائق مجردة عن الهوى ، وجد أن شريعة الحق واضحة ، وان نور الايمان مشرق !!

ولم يأت النبي محمد (ص) برسالته لفئة دون اخرى ، ولم يوص بأهل بيته وعترته خيراً لجماعة دون جماعة ، انما جعل الوصية عامة للمسلمين .

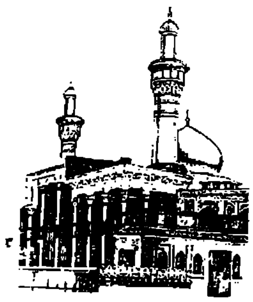
وأنت ترى أن تسجيل (ابن الأبّار) الأندلسي لقول الحقيقة في كتابه (درر السمط) ما هو الا المثال الرائع لصرخة نداء الواقع ، الذي كان يشعر به في قرارة نفسه ، وفي داخل وجدانه ، شأنه في ذلك شأن أصحاب القلم الحر ، والفكر النيّر .

وقد ضمت المقدمة للكاتبين الفاضلين كلمة فيها سؤال عن تشيع ابن الأبّار ، وخلصا الى القول فيها : «ان في الكتاب تقديماً لآل البيت وغضاً من قدر بني أمية لكن في غير غلو ولا انحراف» .

نكتفي بهذا القدر من استعراض الكتاب ، لنقرأ كلمة المحققين الفاضلين في «ابن الابار البلنسي» وتحقيقهما الرائع لكتابه (الدرر) وكشفهما لهذه الصفحات المجهولة من الادب الشيعي في الغرب الاسلامي .

«الدكتور محسن جمال الدين»

ابن الأبّار البلنسي



تعريف بالمؤلف ـ التشيع بالاندلس ـ هل
كان ابن الأبّار شيعياً ؟ ـ وصف الكتاب
وتحليله ـ طريقته واسلوبه ـ قيمته .

تعريف بالمؤلف :

١ ـ هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن الابّار القضاعي أو البلنسي حتى يتميز عن ابن الابّار الخولاني الاشبيلي .

و «ابن الابار» لقب لاسرته عريق وكان يوقع به أحيانا مما يدل أنه لم يكن مسبة له كما زعم بعض الباحثين .

٢ ـ ولد ابن الأبّار ببلنسية فجر جمعة لاحد شهري الربيع سنة ٥٩٥/ دجنبر ١١٩٨ م . أو يناير ١١٩٩ م .

عاش في أسرة علم وفضل ، وكان والده من فقهاء البلد ؛ وكانت الحركة العلمية والادبية مزدهرة في بلنسية وتوابعها مما هيأ لابن الأبّار وأمثاله بيئة علمية نشيطة .

٣ ـ ظهر على ابن الأبّار نبوغ مبكر ، وكان منذ صباه ـ بتوجيه والده ـ يجالس العلماء ويستجيزهم ، حريصا على الأخذ والطلب . وقد درس القرآن والقراءات والعلوم الاسلامية والادبية واستوعبها وبرع فيها . وكان المريد الملازم لشيخ الاندلس الشهيد أبي الربيع سليمان الكلاعي الذي يدين له ابن الأبّار بتكوينه واتجاهه العلمي وحتى بحياته الادارية ، فقد دربه على البحث وزوده بأصوله ورسائله كما رشحه للكتابة ولم ينقطع ابن الأبّار عن طلب العلم الى آخر لحظة من حياته . يقول ابن عبد الملك المراكشي :

«ولم يزل يسمع العلم ويتلقاه عن الكبير والنظير والصغير شغفا به وحرصا عليه الى منتهى عمره»[1] وتكوينه العلمي يعكس الاهتمامات العلمية والادبية السائدة في عصره وبيئته ... ومن مؤلفاته العديدة وشيوخه الكثار ندرك أنه كان ذا تكوين علمي موسوعي . وقد وصفه ابن عبد الملك بتلك الموسوعية . ويقول الغبريني «ولا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الاسلام الا وله فيه رواية اما بعموم أو خصوص»[2] . وقد أخذ عن اكثر من مائتي عالم . ونلاحظ أن شيوخه اكثر بكثير من تلامذته . واكثر ما نجد له من المريدين والطلبة في تونس وبجاية حيث كان يقوم بنشاط علمي كبير لا سيما في الظروف الصعبة التي كان يقاسيها مع الامراء ووزرائهم .

٤ ـ ألف أكثر من خمسين كتابا بين صغير وكبير ، تعرفنا على أسماء واحد واربعين منها وقد ضاع جلها سوى ثمانية وهي :

تكملة الصلة ـ الحلة السيراء ـ تحفة القادم والموجود منه فقط المقتضب ـ والمعجم في أصحاب أبي علي الصدفي ـ اعتاب الكتاب

---

(١) انظر الذيل والتكملة ج ٦ ـ مخطوط الخزانة بالرباط .

(٢) انظر عنوان الدراية ص ٣١١ .

- مظاهرة المسعى الجميل - ديوان شعره - ودرر السمط . وقد طبعت كل هذه الكتب وان كان بعضها في حاجة الى طبعة علمية جديدة .

أما ديوان شعره فهو يطبع بتونس(٣) وبطبع هذا الديوان تكون مؤلفات ابن الأبّار الموجودة قد رأت النور كلها راجين اكتشاف البعض الباقي منها .

٥ - التحق ابن الأبّار كاتبا بدار الامارة ببلنسية قبل سنة ٦١٥ وهو دون العشرين من عمره وظل كاتبا الى ان وقع انقلاب في بلنسية فالتجأ مع ابي زيد الى النصارى في صفر من سنة ٦٢٦ هـ . وبين التاريخين ارتحل عبر الاندلس طلبا للعلم لكن الحياة الادارية استهوته فاتجه نحو السياسة التي جرت عليه البلاء فاضطر للهجرة من بلاد الاسلام الى بلاد الكفر خوفا من الانتقام ووفاء لسيده ، لكنه فارق أميره ليعود الى الاندلس المسلمة رغم ما وجد لدى المسيحيين من ترحيب واكرام اذ كانوا يضربون المسلمين بعضهم ببعض ويبدو أنه لم يمكث في بلاد المسيحيين أكثر من أشهر قلائل اذ نلتقي به بوادي آش في شوال من السنة نفسها ٦٢٦ هـ .

٦ - وجد الملاذ عند صديقه أبي الحسين الخزرجي أمير شاطبة المتوفى سنة ٦٣٤ هـ . وفي سنة ٦٣٣ يتولى قضاء دانية ثم يعود اخيرا الى بلنسية ، ليوليه صديقه ابو جميل زيان الوزارة ويجعله من أقرب أعوانه . وقد اختاره ليرأس وفد البلنسيين للاستنجاد بالحفصيين بتونس وذلك خلال حصار الارغونيين لبلنسية .. ذلك الحصار الذي بدأ في رمضان ٦٢٥ ابريل ١٢٣٨ م . وعند وصوله لتونس ألقى قصيدته العصماء التي أحدثت صدى أدبيا كبيرا في الاوساط التونسية كما ألقى قصائد أخرى وبالاخص عند تجهيز النجدة وشحن سفنها التي قد يكون رجع معها للأندلس .

٧ - عاد ابن الأبّار الى بلنسية ليجد الحصار قد استحكم والمقاومة قد ضعفت فبعثه الامير ليفاوض النصارى ويوقع باسمه على معاهدة التسليم المخزية ، ويبدو أنه كان يعرف لغة القوم ، وكان ذلك في ١٧ صفر ٦٣٦ هـ ٢٩ - ٩ - ١٢٣٨ م . وفي يوم الجمعة ٢٧ صفر الموافق ٩ اكتوبر من نفس السنة تتم هجرة المسلمين وانسحابهم من بلدهم الى الابد .

٨ - اضطلع بسفارة أخرى لتونس عن الامير ابي جميل حاكم دانية وذلك في جمادى الثانية من سنة ٦٣٦ مارس ١٢٣٩ وقد كلف هذه المرة بمهمة حمل بيعة الامير ورعيته لابي زكرياء .. ظل هناك أشهرا ثم عاد الى مرسية التي استولى عليها أبو جميل ولكنه وجد مواطنيه قد استبد بهم اليأس واضطربت عزائمهم اذ فقدوا الوحدة والقيادة فادرك ان الاحوال ستزداد سوءا وأن المصير سيكون لا محالة ضياع شرقي الاندلس . وأمام هذه الاخطار الجديدة قرر الهجرة نهائيا من الاندلس الى تونس ، التي سبق له أن تعرف على حكامها ورجالاتها ونال لديهم حظوة واعجابا ، وقد رست السفينة به وبأسرته في بجاية حيث استقبله فيها أبو يحيى الذي أشاد به ابن الابار بهذه المناسبة في قصيدة طويلة(٤) اتخذ نكبته ومأساة وطنه تمهيدا لمدحه فيها ثم توجه الى تونس .. وكان ذلك خلال سنة ٦٣٧ وقبيل سنة ٦٣٨ هـ .

٩ - استقبل في تونس أحسن استقبال واصبح كاتب أبي زكرياء الحفصي وشاعر دولته ولكنه بعد ذلك تخلى عن الكتابة أو فصل منها ونفاه الامير الى بجاية حيث نجده هناك بين أواخر ٦٤٥ هـ وأوائل ٦٤٦ هـ .

فلم يطق الاقامة هناك بعيدا عن أضواء الحكم وأروقة الادارة والسياسة فألف كتابه «اعتاب الكتاب» مستشفعا بأبي يحيى ثم بأخيه أبي عبدالله وبفضل مساعي هؤلاء عفا

(٣) بتحقيق د. عبد السلام الهراس .

(٤) انظر القصيدة رقم ٨٤ في الديوان

عنه الامير وسمح له بالعودة الى تونس وذلك في اواخر رمضان ٦٤٦ هـ . وبعد وفاة أبي زكرياء سنة ٦٤٧ هـ . سطع نجم ابن الأبّار من جديد في البلاط التونسي اذ يدنيه المستنصر منه فيصبح من أبرز رجاله مما أوغر صدور اعدائه فتآمروا عليه واستطاعوا ان يفسدوا العلاقة بين الامير وابن الأبّار الذي كان يعتز بعلمه وشخصيته في حضرة الامير وربما استجهله واستصغر معلوماته ! فيغضب عليه مثلما فعل والده من قبل .. وحوالى سنة ٦٥٠ هـ . ينتقل من جديد الى بجاية ليستقر بها استقرارا أطول من المرة الاولى فظل في هذه المدينة الى سنة ٦٥٧ هـ . وكانت هذه الفترة من اخصب حياته العلمية بافريقيا .

١٠ - ثم عفا عنه الخليفة ولكن مؤامرة خبيثة كانت تكمن وراء ذلك العفو وقد ادرك هو ذلك ولكن بعد فوات الاوان فكان يعزي نفسه بمثل قوله :

أما انه قد خط في اللوح ما خطا
فلا تعتقد للدهر جورا ولا قسطا
ولا تسخط المقدور وارض بما جرى
عليك به ان الرضى يفضل السخطا

قوله :

حرمت الرشاد لاني سفاها
خدمت الملوك وهم أعبد
وفي رغباتي لهم جئت ادّا
فهلا رغبت لمن أعبد

١١ - وفي يوم الثلاثاء ٢٠ محرم من سنة ٦٥٨ هـ . حم القضاء فأعدم قعصا بالرماح بعد أن عذب عذابا شديدا ثم أحرقت جثته مع مكتبته وانتاجه الضخم . ولعل اعداءه ارادوا محوه من ذاكرة التاريخ فاذا بها تزداد تعلقا به فيكتب له الخلود .

التشيع بالاندلس

١ - الاندلس نتاج الحضارة الاسلامية العربية ، ولعوامل متعددة تميز المجتمع الاندلسي بشخصيته التي طبعت سلوكه وحياته وانعكست على اهتماماته وثقافته وآدابه ومواقف افراده وجماعاته ، ولهذا لم يكن هذا المجتمع يستجيب لما لا يلائم مزاجه وتكوينه الثقافي والعقلي . والمجتمع الاندلسي الذي تعرب لسانا وأسلم عقيدة اصطبغ في عقيلته بالطابع المغربي بالمعنى الواسع ، ولهذا لا غرابة أن تخلو الاندلس الاموية وغيرها من ذلك التناحر المذهبي على النحو الذي كان المشرق يعاني منه وأن يسلم من فرق الخوارج وطوائف الشيعة وغيرها من التيارات والفرق التي كان الشرق يغص بها ، ولذلك كان ظهور آثار بعض تلك المذاهب وملامحها في المجتمع الاندلسي يعتبر ظاهرة جديرة بالتسجيل والاهتمام وسنحاول في هذه المقدمة وصف تلك الاثار والملامح على الصعيد السياسي والادبي غير مرتبطين كثيرا بمصطلح التشيع المشرقي(٥) .

٢ - ظهرت في الاندلس - ابان تأسيس الامارة الاموية - بعض الثورات والتمردات كان بعضها غير صريح في ارتباطه بالتشيع ، وأول هذه الثورات قادها عبدالله بن سعد بن عمار بن ياسر الذي كان قائدا أمويا يتولى قيادة اليمنية من جند دمشق ، وقد أوعز اليه أميره يوسف الفهري بمحاربة عبد الرحمن الداخل «لما بين عمار وبين بني أمية من الثأر بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه ، وكان عمار من شيعة علي رضى الله عنهما»(٦) . وقد فشلت حركته وضرب عبد الرحمن عنقه وكان ذلك قبل سنة ١٤٣ هـ . وهي السنة التي هلك فيها يوسف الفهري الذي كان يحكم الاندلس باسم الأمويين .

٣ - وفي سنة ١٤٦ هـ . يثور العلاء بن

---

(٥) للدكتور محمود مكي بحث قيم عن التشيع في الاندلس انتهى به الى عصر الحموديين نشره في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ع - ١ - ٢ س١٩٥٤ .

(٦) نفح الطيب ٣٣٠/٢ ، وانظر المغرب لابن سعيد ١٦١/٢ .

مغيث الجذامي بلقنت داعيا للعباسيين رافعا رايتهم السوداء وتنتهي ثورته نهاية محزنة اذ يمزقها عبد الرحمن الداخل شر تمزيق ويقتله مع أبرز أصحابه(٧) .

٤ - ويثور الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الانصاري سنة ١٦٥ هـ .

وكان جده من شيعة علي ، غير أنه ، فيما يبدو ، ثار من أجل السلطة لا بدافع التشيع لاننا نجده يتآمر على رفيقه في التمرد سليمان بن يقظان الاعرابي تنفيذا لاتفاق بينه وبين عبد الرحمن واستجابة لاغرائه(٨) .

٥ - وأبرز ثورة بالاندلس صريحة التشيع أو منتحلة له تنفجر في وسط بربري في منطقة شنتبريه SANTAVER بزعامة شقيا بن عبد الواحد المكناسي(٩) . ولا نعرف عن هذا الثائر الا قليلا فهو من سكان وادي الحجارة ، كانت أمه تدعى فاطمة أو هكذا زعم ، فادعى أنه فاطمي وسليل البيت النبوي ، وتسمى بعبيد الله بن محمد ، وكان معلم صبيان ، ولا نستبعد ان يكون قد اتخذ التعليم ستارا لدعوته كما سيفعل من بعده أبو عبدالله الصنعاني داعية الفاطميين بالمغرب ، وقد استمرت ثورته من سنة ١٥١ - ١٦٠ هـ . بل امتدت بعد اغتياله إلى سنة ١٦٢ هـ . حيث استلم زعامتها وجيه الغساني الذي سبق له أن آمن بدعوته بعد ان كان من قواد عبد الرحمن الداخل .

٦ - وفي سنة ٢٣٧ هـ . يثور معلم آخر على قرطبة ولكنه كان أكثر جرأة وتطاولا فادعى النبوة وشرع لاتباعه تعاليم منها النهي عن قص الشعر وتقليم الاظافر لما في ذلك - زعم - من تغيير خلق الله(١٠) . ويرى الدكتور محمود مكي أنه كان متأثرا بالدعوة الاسماعيلية الباطنية .

ويبدو أن هذا التمرد هو آخر التمردات التي قامت على الدولة الأموية باسم التشيع وبما له علاقة به من قريب أو بعيد .

٧ - وبقيام دولة الادارسة بالمغرب ودولة الفاطميين بتونس يبدأ تاريخ جديد في العلاقة بين ضفتي المتوسط بالغرب الاسلامي ، وقد صادف انتشار الدعوة الفاطمية بافريقيا اضطراب الاحوال بالاندلس وضعف السلطة المركزية وتضعضع الوحدة القومية بها وانتقاض كثير من المتمردين والرؤساء ومحاولتهم الاستقلال بالسلطة عن قرطبة . وقد اشتد بين الامويين والفاطميين وكان امراء المغرب - ومنهم الادارسة - منقسمين في تحزبهم لذا أو ذاك ، ومنهم من كان متذبذبا حسب المصلحة ، وقد استخدم الجانبان المتصارعان وأحزابهما جميع الوسائل المادية والادبية في الصراع بينهما . ولولا اضطلاع عبد الرحمن الناصر بالحكم لتغير تاريخ الاندلس .

٨ - كانت الاندلس أموية وذات عقلية خاصة ولذلك لم يجد المذهب الشيعي تربة ملائمة له هناك باستثناء أفراد نعتوا بالتشيع ، وكانت سياسة الامويين تجاه الشيعة تقوم على محاولة تجاهل آل البيت كما تدلنا على ذلك حكاية الرؤيا التي رآها الامير محمد اثناء اهتمامه بشأن تعيين قاض ! فقد تراءى له في منامه أربعة رجال يتجهون لعيادة الفقيه ابراهيم بن باز ولم يكن الاربعة سوى الرسول (ص) والخلفاء الراشدين الثلاثة دون علي رضي الله عنهم جميعا ، وهذه السياسة يعكسها ابن عبد ربه الاموي في ارجوزته التاريخية التي اعتبر فيها معاوية رابع الخلفاء متجاهلا عليا مما اثار غضب قاضي الجماعة منذر البلوطي الذي لعن ابن عبد ربه بهذين

(٧) البيان المغرب ٢/٥٢ - ٥٣

(٨) نفس المصدر ٢/٥٦ - ٥٧ وترصيع الاخبار للعذري ٢٥ - ٢٦ .

(٩) بحث د. مكي ص ٩٩ - ١١٠ ، البيان المغرب ٢/٩٠ ، المغرب ١/٥٠ .

(١٠) نفح الطيب ٢/٣٣٠ .

البيتين :

أو ما علي ـ لا برحت ملعنا
يا ابن الخبيثة ـ عندكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد
داني الولاء مقدم الاسلام(١١)

ولم يعرض هذا القول صاحبه منذرا الى سخط الناصر والامويين ، وبذلك يبدو ان قول المقدسي «ان الاندلسيين اذا عثروا على شيعي فربما قتلوه(١٢) فيه كثير مبالغة اللهم ان كان شيعيا بالمعنى السياسي الذي يصبح خطرا على الدولة كالشاعر ابن هانىء الذي اضطر للفرار بنفسه الى افريقيا ليصبح شاعر الفاطميين .

٩ ـ وكان هم الامويين تثبيت السنة ومذهب الامام مالك بالاندلس والمغرب واستئصال كل اثر شيعي منهما وبخاصة ايام الناصر والمستنصر ، وقد أحرق بنو العافية منابر الشيعة إظهاراً لطاعة بني أمية ومنابذة لحكام الشيعة واتباعهم ومذهبهم والتزاما باقامة السنة والقضاء على البدعة ووصف انصار الامويين بالمغرب اعداءهم الشيعة بأشنع النعوت وأفضح الاوصاف ... وعندما انتصر المستنصر على حسن بن قنون دبج الشعراء عدة قصائد تمجيدا لهذا النصر واشادة بالخليفة وذما للشيعة(١٣) .

١٠ ـ وقد اهتم المستنصر بالتأليف عن الشيعة ليكون على بينة من أعدائه ، فألف هو نفسه كتابا في أنساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب كما ألف ابن الشبانسية كتاب التاج السني في نسب آل علي برسم الخزانة الحكيمة(١٤) ، يقول عنه الدكتور محمود مكي : «يحتوي كما يبدو ـ على كثير من الأخبار عن الشيعة بالمغرب والاندلس» ويقول عن دافع تأليفه «ولسنا نرى أن هذا كان بقصد العلم فقط بل ربما كان كذلك تمكينا للسياسة التقليدية التي جرت عليها الخلافة الاندلسية في الشمال الافريقي»(١٥) .

١١ ـ وعندما دالت دولة الامويين بالاندلس وبزغ نجم الحموديين بدأ الناس ينحرفون عن بني أمية كما ازدهر أدب التشيع ، أما الظاهرة الاولى ففي الفشل الذريع المتوالي الذي أصاب محاولات بعض الامويين للاستيلاء على الحكم واستعادة الخلافة الاموية وفي النهايات المحزنة لهؤلاء المغامرين لبعض الناس لهم وسوء سلوكهم ، يقول ابن سعيد عن بنى أمية : «ويعرفون هنالك الآن بالقرشيين وانما عموا نسبتهم الى أمية في الآخر لما انحرف الناس عنهم وذكروا أفعالهم في الحسين رضي الله عنه» وكانوا يعانون من هذه النسبة عناء شديدا حتى في ايام المرابطين مما حدا بابن باجة الفيلسوف الاندلسي ووزير المرابطين الى نصح الشاعر الاموي ايوب بن سليمان السهيلي بأن يرحل فرارا من نسبه ، فقال الشاعر : «الحمد لله الذي أسعدنا به أولا وأشقانا به أخيرا» ويستمر ابن سعيد قائلا : «واتفق له في طريقه أن أكرمه بدوي نزل عنده وقد تخيل أنه رسول من بعض ملوك الملثمين أو ممن يلوذ بهم فلما أعلمه غلامه (غلام الشاعر) أنه من بني أمية هاج وأخذ رمحه وحلف أن لا يبقى له في منزل ، فقال لغلامه : اذا سئلت عني فقل انه من اليهود فانه أمشى لحالنا»(١٦) .

١٢ ـ ونتيجة لذلك وللفتنة العمياء التي أنهكت قرطبة وأشاعت اضطرابا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا عبر الاندلس اضطر شعراء كبار «ليتشيعوا» رغبة في العطاء مثل ابن دراج وابن الحناط وعبادة بن ماء السماء وابن مقانا الاشبوني أو طلبا للامن وفرارا من كيد الاعداء مثل ابن شهيد..

ويمتاز تشيع هؤلاء عقيدة وأدبا بالنفحية

---

(١١) انظر التكملة ١/٢٩٣ .
(١٢) انظر احسن التقاسيم ص٣٢٢ .
(١٣) المرجع السابق ٢/٧٢٨
(١٤) نفس المرجع ٢/٦٩٩
(١٥) التشيع في الاندلس المرجع السابق
(١٦) انظر المغرب في حل المغرب ١/٦١

والسطحية لانهم لم يكونوا يعتنقون «مذهبا» بقدر ماكانوا يلتمسون مخرجا ، وحتى الحموديون انفسهم لم يكونوا «شيعة» بالمعنى المعروف ، لانهم كانوا قد «تمغربوا» بل تبربروا ، ولو حاولوا الترويج لمذهب شيعي ماكانوا ليصيبوا اي نجاح في وسط سني محافظ اخلاصا لوحدته الدينية والمذهبية في تلك الجزيرة ولكان مصيره مصير المذاهب الفقهية والفلسفية والصوفية التي لم تجد لها في الاندلس مناخا مناسبا فاضطرت للانكماش أو للهجرة على الرغم من أن بعض تلك المذاهب والنزعات قد نشأ في تربة اندلسية وعلى يد شيوخ اندلسيين أفذاذ .

١٣ ـ ولانجد في هذه الفترة ، فترة الحموديين ، أن أدبها الشيعي ، يتناول بالحاح وعمق ، قضايا الشيعة ومبادئهم ولم يتناول منها الا مالايصادم ، غالبا ، عقيدة أهل السنة ، وما اورده ابن دراج ، صراحة ، من تلك المبادىء كان مرتبطا بشكواه وحاجاته ؛ فقد خاطب ابن حمود بابن الوصي من أجل ان يوصي عليه أخاه حاكم سبتة !! حتى لايضيع سمي جده أحمد ويعني به نفسه (أحمد بن دراج) ، ويقول الدكتور محمود مكي تعليقا على بعض ابيات ابن دراج «وابن دراج أول من ذكر مناقب اهل البيت في اسلوب حزين مؤثر، كان نواة للقصائد الاندلسية التي تناولت مراثي أهل البيت من بعد»[١٧] كما أشاد ابن بسام بأحدى هاشميات ابن دراج وجعل يفاخر بها شعراء الشيعة المشارقة، والواقع ان كثيرا من الافكار الواردة في قصائد ابن دراج كانت مقبولة في الوسط الاندلسي كما كانت مرتبطة بمطالب الشاعر الآنية المفاجئة ، أما تلك اللقطات الجميلة التي صور فيها حنان الرسول (ص) وحدبه على أحفاده بأسلوب حزين ومشاعر صادقة وعميقة فلكون عواطف الشاعر يثيرها موضوع الاطفال والرأفة بهم والحنان عليهم لانه كان ـ آنذاك ـ ابا لعدة أطفال يهددهم الجوع والضياع أثناء الفتنة[١٨] ومن الجدير بالذكر أن مأساة الحسين لم تكن من موضوعات هذا النوع من الادب في هذه الفترة مع اهمية تلك المأساة في ضمير العالم الاسلامي حتى ان ابن حزم العريق في ولائه للامويين واخلاصه العملي لخلافتهم كان يعد مقتل الحسين من أكبر مصائب الاسلام الاربعة[١٩] ..

١٤ ـ وفي اوائل القرن السادس ، عصر المرابطين ، نعثر على بداية صادقة لادب شيعي يتسم بالحرارة والاخلاص والصدق ، وان كانت شيعيته ذات صبغة مغربية أندلسية اي بريئة من الغلو والانحراف والتقديس المفرط والاغراض المستترة . ويدشن ـ في حدود علمنا ـ ابو عبد الله محمد ابن ابي الخصال الشقوري (٤٦٥ ـ ٥٤٠) هذا النوع من الادب فيبكي الحسين في قصيدتين قرأهما عليه ابن خير ، وله عدة قصائد نبوية تناول فيها مأساة أهل البيت كما اشتهرت عنه رسائله النبوية . وفيما تخلل حياة ابي عبد الله بن أبي الخصال من المآسي مايميل بأدبه نحو البكاء والاسى[٢٠] . كما ان هذا العصر كان مليئا بما يثير العواطف ويبعث على التأمل واستخلاص العبر لما وقع فيه من احداث جسام غيرت معالم الحياة الاندلسية ولم يستطع صدق المرابطين والموحدين في الجهاد والدفاع عن «اليتيمة والايتام» من علاج الانهيار العنيف الذي كان يعيث في الروح الاندلسية ويجعل الاندلسيين عاجزين عن مقاومة الاحتلال المسيحي لبلادهم مما اوقع في القلوب شبه يقين بحلول الكارثة، وفي هذا الجو نشأ أدب بكاء الحسين ، وما

(١٧) انظر مقدمة ديوان ابن دراج .
(١٨) انظر الذخيرة ١ ـ ١/ ٧٠ ـ ٧٤ وديوان ابن دراج القصيدة رقم ٣١
(١٩) انظر جوامع السير لابن حزم تحقيق احسان عباس
(٢٠) انظر ازهار الرياض للمقرى ج٤ (مخطوط) وفهرسة ابن خير ص ٤٢٠ ـ ٤٢١

نظن ان توجيهات المرابطين الذين كانوا يعترفون بخلافة العباسيين ، وكذلك الموحدون الذين كانوا يتبنون بعض الافكار الشيعية - مانظن ان هذه التوجيهات كانت بعيدة عن الاسهام في ايجاد ذلك الادب وتشجيعه..

١٥ - لكننا في هذا العصر - المرابطي والموحدي - نسمع صوتا غريبا وهو مانسب الى ابن العربي من ان الحسين قتل بسيف جده ، ذلك القول الذي عرضه الى سخط أبي عنان المريني الذي هم باحراق جثته لولا تدخل بعض العلماء الذين نصحوه بأن هذا لايحل شرعا فعله بأحد كما ان القول قد يكون مدسوسا عليه كما دس على غيره الكثير(٢١) . ومما يؤيد قول هؤلاء ان ابن العربي نفسه يبكي الحسين بقوله:

ياأسفا على المصائب مرة ويا أسفا على مصيبة الحسين الف مرة وان بوله يجري على صدر النبي (ص) ودمه يراق على البوغاء ولايحقن ، يالله ويا للمسلمين (أردنا أن نطهر الارض من خمر يزيد فأرقنا دم الحسين فجاءتنا مصيبة لايجبرها سرور الدهر..)(٢٢) .

١٦ - وفي شرقي الاندلس ينبغ شاعر «انفرد من تأبين الحسين وبكاء آل البيت ومدحهم بما ظهرت عليه بركته في حكايات كثيرة»(٢٣) وهو أبو بحر صفوان بن ادريس (٥٦١ - ٥٩٨) وقصة تحوله عن مدح الملوك والرؤساء الى مدح النبي وآله مبسوطة في الكتب التي ترجمت له ، وهو في شعره هذا يسير في خط ابن أبي الخصال وهو الخط الذي سيترسم خطاه من يجيء بعدهم من الشعراء والكتاب : كالحملة على الامويين وانذارهم بسوء المصير وان جهنم مثواهم ودار قرارهم ، وبكاء الحسين وتصوير مأساته . ورثاء صفوان يتسم بعمق الاحساس ولوعة الاسى وتوهج العاطفة وقد قدم لنا صورا ولقطات تنبض بالحياة والانفعال في جو موسيقي محزن وبنبرات متوجعة وأنّات محترقة . واستعان بالتشخيص واستحضار مشاهد تجعل القارىء ينفعل مباشرة بالمأساة كتصويره لمشهد فاطمة رضي الله عنها وهي على مسرح المأساة تتوجه الى ابيها (ص) شاكية اليه ماأصاب ولدها وهي تذرف الدموع الغزار .. وتشخيصه لمناسك الحج ومواطنه المقدسة واشراكه في الاحساس بالمأساة والتأثر الشديد بها.. وعلى الرغم من ان لصفوان رسائل بديعة وقصائد جليلة في مراثي الحسين فانه لم يصلنا من أدبه في هذا الغرض الا قصيدتان وبضعة أبيات.. وكانت هذه القصائد تلقى في محفل رهيب يقام بمرسية وشرقي الاندلس بمناسبة ذكرى مقتل الحسين ليلة عاشوراء من كل سنة في جو من الخشوع والمهابة والقداسة ومن مراسيم هذه الذكرى مشهد جنائزي يشخص المأساة كما تشعل الاضواء ويوقد البخور ويحضر القراء المحسنون والمنشدون البارعون وتقدم الموائد والاطعمة وترتفع الاصوات الجميلة منشدة المراثي الحسينية .. وقد ظلت هذه العادة الانشادية الجماعية الى عهد ابن الخطيب وتعرف عندهم بالحسينية أو الصفة يقول ابن الخطيب «ومهما قيل الحسينية او الصفة لم يدر اليوم أصلها»(٢٤) .

١٧ - وهناك شاعر معاصر لصفوان وهو ناهض الوادي آشي (تـ ٦١٥) له قصيدة في بكاء الحسين شديدة الاسى والالتياع وقد اختار لها اطاراً فنيا أضفى عليها ظلالا من الحزن وشحنها بأنغام شجية باكية(٢٥) .

١٨ - ولابن الناصف (موسى بن عيسى

(٢١) الاعلام للمراكشي ٣/١٨ - ١٩

(٢٢) انظر العواصم من القواصم ٢/١٦٩ - ١٧١ طبع عبد الحميد ابن بادس سنة ١٣٤٧هـ .

(٢٣) النفح ٥/٦٨ - ٦٩ نقلا عن الاحاطة . والمغرب ٢/٢٦٠ .

(٢٤) اعمال الاعمال مخطوط رقم ٨٠٧ و ٦٩٧ ، الخزانة الملكية

(٢٥) النفح ٦/٣٧٢ - ٣٧٣ .

المتوفى سنة ٦٢٧) ارجوزة في مقتل الحسين نظمها باقتراح ابراهيم الدرعي الكفيف ، وقف عليها ابن عبد الملك بخطه[٢٦] .. وموسى هذا أخ ابي عبد الله ابن المناصف أستاذ ابن الابار ...

١٩ - وقد ألف أبو عبد الله محمد بن التجيبي (٥٤٠ - ٦١٠هـ) كتابا سماه «مناقب السبطين» رواه عنه ابن الابار واجازه فيه وسنه لم تتجاوز الثالثة عشرة[٢٧] .

٢٠ - ولابي البقاء الرندي (٦٠١ - ٦٨٤) قصيدة طويلة في رثاء الحسين محاولة منه مضاهاة صفوان بن ادريس ، وهي قصيدة مخمسة على حروف المعجم ومذيلة باعجاز من قصيدة لزهير . وتسير القصيدة على نسق من التحسر على الحسين والتنديد بقاتليه ولكن الشاعر الذي استدر دموعنا في قصيدته الشهيرة في بكاء الاندلس كان هنا اسير الصنعة والتكلف...[٢٨] .

٢١ - ولابن جابر الالبيري (محمد بن احمد الهواري) المعاصر لابن الخطيب قصيدة في فضل الصحابة وعند ذكره للحسين مجده وحلاه بالصارم الحازم والبطل المغوار وحمل على يزيد وشمره[٢٩] .

٢٢ - ولم يقتصر بكاء الحسين على المستوى الشعبي بل اصبح موضوعا يرغب في تناوله حتى الملوك كما نرى ذلك عند يوسف الثالث من ملوك بني الاحمر ، فله قصيدتان في رثاء الحسين يكشف فيهما عن ولائه لآل البيت ودفاعه عن هذا التشيع ..[٣٠] .

٢٣ - من هذا العرض رأينا ان التشيع في الاندلس بدأ منذ فجرها الاسلامي ولكنه كان ضعيفا خافتا لم يتسن له ان يبرز خلال الحكم الاموي ، ولكنه خلال الفتنة وايام حكم الحموديين توفر له الجو السياسي الملائم فتسابق الشعراء الى مدح الطالبيين الحموديين وتطرقوا لموضوعات شيعية وان كان الدافع غير عقائدي ! وابتداء من أبي الخصال الى أواخر ايام الاسلام بالاندلس لاحظنا ازدهاراً لادب التشيع اذ اصبح له مناخ اجتماعي يغذيه بالاعجاب ويتجاوب معه ، وقد رأينا ان شرقي الاندلس كان اكثر المناطق تأثرا بمأساة الحسين ووفاء لتلك الذكرى الحزينة حيث أصبحت لشخصية الحسين سيطرة على العواطف واللاشعور الاندلسي حتى ان صورته بدأت تتراءى لبعضهم في الاحلام ، وليس غريبا ان يقع ذلك لشخصية من شرقي الاندلس وهي: محمد بن ميمون القرشي الذي رأى في منامه واعظا يعظه ولم يكن هذا الواعظ سوى الحسين بن علي رضي الله عنه ، وشاعت حكاية الرؤيا في بلنسية وتداولها العلماء وسجلها ابن الابار في تكملته .. ولكن السمة العامة التي امتاز بها تشيع الاندلس أنه كان تشيعا غير اعجمي اي معتدلا الى حد بعيد ، وقد عبر عبد المهيمن الحضرمي السبتي عن طبيعة حب المغاربة لآل البيت بقوله : «احبهم حب تشرع لاحب تشيع»[٣١] .

٢٤ - تربى ابن الابار في احضان بلنسية ومن جوها العلمي والثقافي والاجتماعي كان يتزود ، ولعله شاهد تلك الاحتفالات التي كانت تقام بشرقي الاندلس بمناسبة ذكرى كربلاء تلك الذكرى التي كان صفوان ابن ادريس نجمها اللامع ولعل ابن الابار كان معجبا به اذ سمع عنه الكثير من شيخه أبي الربيع سليمان الكلاعي وغيره من الشيوخ ، وقد كان لاستاذه الكلاعي صلة وثيقة بصفوان وروى عنه الكثير.. وابن الابار أجدر من يتحمل علم الكلاعي ومروياته ويبدو حرص ابن الابار على

(٢٦) الذيل والتكملة مخطوط رقم ١٧٠٥ ص ١٦٧ - ١٦٨ ، الخزانة العامة الرباط .

(٢٧) انظر النفح ٦/٢٩٧

(٢٨) انظر روضة الانس «مخطوط» نسخة الاستاذ محمد المنوني

(٢٩) نفح الطيب

(٣٠) انظر ديوان يوسف الثالث ، تحقيق الاستاذ عبد الله كنون .

(٣١) النفح ٥/٤٦٩

قراءة هذا النوع من الادب واعجابه به في قراءته لكتاب «مناقب السبطين» على مؤلفه ابي عبد الله التجيبي .. ولانشك في أنه اطلع على ارجوزة أبي عمران بن المناصف التي نظمها في مأساة الحسين ليس فقط لعلاقته بأخي الناظم أبي عبد الله بن المناصف ولكن ايضا للاطلاع الموسوعي الذي يمتاز به ابن الابار . ولهذا نرى ان «درر السمط» هو نتاج البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية التي عاش ابن الابار في اكنافها .

هل كان ابن الأبار شيعيا ؟

١ - ان كتابه الدرر حمل كلا من ابن الاحمر والمقرى على اتهام ابن الابار بالتشيع ؛ فيقول الاول في حق هذا الكتاب : لكنه تشتم من تصنيفه «درر السمط» رائحة التشيع وتستطلع منه انباء الشقاوة اذ منعه عن الطعن التضيع»[٣٢] .

ويقول الثاني بعدما أثنى على هذا الكتاب وأورد منه فصولا «ولم اورد منه غير ماذكرته لان في الباقي ماتشم منه رائحة التشيع والله يسامحه بمنه وكرمه»[٣٣] .

٢ - والحق ان في الكتاب تقديسا لآل البيت وغضا من قدر بني أمية ولكن في غير غلو ولا انحراف وابن الابار يرى بأن عليا وصى بل سيد الاوصياء وآخر الخلفاء ومعاوية أول الملوك ورغم أن بين الرجلين فرقا في المزايا فانهما سيجتمعان في الجنان ... وله من الخصائص والميزات مايجعله في مكانة سامية فهو اول الذكور آمن وله بالنبي أصرة الابوة ثم أصرة الاخوة والبنوة» وبهذه المناسب يقول ابن الابار «فلولا أن لانبي بعدي نص في الامتناع ، لكان : (انت مني بمنزلة هرون من موسى) حجة في الاتباع» ويطلق العنان لعواطفه عند تصويره لمأساة الحسين فيبكيه بحسرة ووله ويصيح غاضبا «ماعذر الاموية وابنائها في قتل العلوية وافنائها ؟ أهم يقسمون رحمة ربك ، كم دليل في غاية الوضوح على أنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق «ويشهد ابن الابار الله على ان يظل طول حياته حزينا على رزء الشهيد ، مضطرب البال مضطرم البلبال ، وهو يتوسل بهذا الى الله ليجعله بين يديه حجة لاتدحض وحسنة لديه لمحو سيئاته ترحض حتى ينعم في دار القرار بمجاورة الابرار ، وهو لايندم يوم السؤال على اعلانه هذا وإسراره ، ويختم قوله بهذه العبارة :

«ويا من أدخر ندبته للمثاب وافتخر بالوجد فيه والاكتئاب» .

ولابن الابار تأليف آخر في بكاء الحسين سماه «معدن اللجين في مراثي الحسين» يقول عنه الغبريني : «ولو لم يكن له من التآليف الا هذا الكتاب لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته»[٣٤] ولعل هذا الكتاب يحتوي على مراثي شعرية في مقابلة الدرر النثري .

وليس في الكتاب قول بالامامة او العصمة وآراء أخرى من صميم مذهب الشيعة الكلامي .

وابن الابار من علماء السنة وحفاظها ، ولا نجد له في مؤلفاته الاخرى نزعة غير نزعة أهل السنة من المغاربة والاندلسيين وهو نفسه يبرأ من كل مذهب غير حب الله ورسوله ولعل هذا كان اثر تجربة الحيرة التي مرت به ، يقول في قصيدة يمدح فيها العلماء[٣٥] ..

نصبت لاخلاصي لهم وتخلصي
بارشادهم من حيرة الرفض والنصب
فأتبعت حب الله حب رسوله
وليس مثاب الواصلين سوى الحب

(٣٢) انظر مستودع العلامة ص٢٨ طبع تطوان
(٣٣) انظر النفح ٤/٥٠٦ - تحقيق احسان عباس
(٣٤) انظر عنوان الدراية ص ٣١٢
(٣٥) الديوان رقم ٣٣

كما نراه يبرىء الاندلسيين من التشيع الذين تمسكوا بالشريعة وأحبوا آل النبوة لكنهم عادوا الشيعة كمذهب ، يقول في رسالة كتبها لابي المطرف بن عميرة :

«كلا بل دانت (الاندلس) للسنة ، وكانت من البدع في احصن جنة : هذه المروانية مع اشتداد اركانها ، وامتداد سلطانها ألقت حب آل النبوة في حبات القلوب ، وألوت ، ما ظفرت من خلعه ولا قلعه بمطلوب ، الى المرابطة بأقاصي الثغور ، والمحافظة على معالي الامور ، والركون الى الهضبة المنيعة والروضة من معاداة وموالات الشريعة»[٣٦] .

ولذا فأن تشيع ابن الابار ينبغي ان نفهمه في اطار الحب لآل البيت حبا شرعيا كما عبر عن ذلك عبد المهيمن الحضرمي .

وصف الكتاب وتحليله

١ - لعل من السهل ، أن نعرف الغاية المتوخاة من تأليف الكتاب ؛ فأبن الابار عاش اكثر حياته مضطرب البال ، قلق النفس ، نكد العيش ؛ وقد سئم حياته مع الناس ، وانحياشه الى الملوك والامراء ؛ فلم يزده تقربه منهم الا بعدا وتذمرا وبلوى :

رجوت الله في اللأواء لما
بلوت الناس من ساه ولاه[٣٧]

فأثر أن يلتجىء الى الله ، ويتوسل اليه بهذا العمل المبرور :

«وأنا قد ران على قلبي ما اكسب ، فلا انمى بقربة ولا انتسب .. أشهدك اللهم في رزء الشهيد ، أني أحب التهويم للتسهيد ..» .

٢ - والكتاب يتضمن مقدمة ، واربعين فصلا ، أشار في المقدمة الى مالآل البيت من شرف الارومة وكرم المحتد ، ونبل الفعال ، وحسن الخلال ؛ ومالهم على هذه الامة من أياد سابغة ، مما ارجب محبتهم وخلد ذكرهم :

(.. فروع النبوة والرسالة ، وينابيع السماحة والبسالة ؛ الذين حياهم الروح الامين ، وحلاهم الكتاب المبين ؛ لولاهم ما عبد الرحمان ، وعهد الايمان وعقد الامان .. اذهب الله عنهم الرجس ، وشرف بخلقهم الجنس ، اولئك السادة أحيى وأفدى ، والشهادة بحبهم أوفى وأؤدى ..) .

وكأنه وضع بهذا التمهيد الوجيز ، اطار الكتاب .

٣ - اما الفصول ، فقد شخص فيها مأساة آل البيت ، وتتبع مراحلها ، وأرخها من بدايتها الى نهايتها ؛ من سم الذراع للوالد الاكبر محمد بن عبدالله ، وتأليب ابي سفيان قريشا عليه ، الى مقتل علي بيد أشقى الاشقياء ، الى سم الحسن - رغم تخليه عن الامر - حقنا للدماء ، الى المذبحة الشنعاء بكربلاء ، التي ذهب ضحيتها الحسين ومن معه ، فكانت أعظم كرب وبلا :

وما نكبة فاتت به بعظيمة
ولكنها من امهات العظائم

٤ - بيد أن المؤلف لم يتناول منها الا الجوانب المثيرة ، وقد كتبها بعقله وعاطفته ، وأضفى عليها من خياله وابداعه ؛ وهكذا يفتتح الفصل الاول منها بقول : حيها اوجها على السفح غرا.... اي صفحات شربت ماء بشرها الصفاح ، وترحات ما شفى تباريحها الا السفاح ؛ يالهفا للملة وهت معاقدها ، وهوت فراقدها ، فتسلط الانقص على الاكمل ، واختلط المرعى بالهمل ....!

ويقول في الفصل الذي يليه : يا لك انجم هداية ، لا تصلح الشمس لهم داية ؛ كلفتهم في حجرها النبوة ، فلله تلك البنوة : (ذرية بعضها من بعض) ، سرعان ما بلى منهم الجديد ، وغرى بهم الحديد ، نسفت اجبلهم الشامخة ، وشدخت غررهم الشادخة ؛ فطارت بطردهم الارواح وراحت عن جسومهم الارواح ... فان

(٣٦) انظر النفح ٤/٤٩٨

(٣٧) عبد العزيز عبد المجيد ، ابن الابار حياته وكتبه ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

يكونوا ما عرجوا في مراقي الملك ، فقد درجوا في مهاوى الهلك :

ونحن أناس لا توسط عندنا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر

٥ - وكتاب درر السمط ، ليس فقط في خبر السبط - الحسين - كما يبدو من عنوانه ، بل هو تأريخ - كما قلنا - لمأساة آل البيت جميعا ، أو على الاصح نمط خاص على هامش السيرة ، من أول البعثة الى نهاية الخلافة ؛ فهناك فصول في مبعث الرسول ، وسيرة خديجة ، وفاطمة البتول ؛ واخرى في مناقب علي ، ومنازعة معاوية له حبل الخلافة ، ووقعة صفين ؛ ولقطات من سيرة الحسن ، الذي اعطى من نفسه المثل الاعلى في سبيل وحدة المسلمين :

أتته الخلافة منقادة
اليه تجرر اذيالها

فتخلى عنها ولم تغره بهجتها : (ان ابني هذا سيد ، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين) .

٦ - ويمهد المؤلف الى المقصود بقوله :

اقتسم السبطان - على رغم انف الشيطان - خلق جدهما النبي ، وخلق ابيها الوصي ، فردى اكبرها بما اذى به الاكبر ، ولقي اصغرهما الموت الاحمر :

كانت مآتم بالعراق تعدها
أموية بالشام من أعيادها

وعلى الدهر من دماء الشهيـ
ـدين علي ونجله شاهدان

ألب على الرسول ابو سفيان ، ولاكت كبد حمزة هند ، ونازع حق علي معاوية ، واحتز هامة الحسين يزيد :

لقد علقوها بالنبي خصومة
الى الله تغنى عن يمين وشاهد

٧ - ويقول في مأساة الحسين : ثم نزل كربلاء ، زاجرا منها الكرب والبلاء ؛ فصدق ذلك مآلت اليه الحال ، وأن عليه في الدنيا الترحال ؛ هنالك دفع الى الاحداث تلتقمه ملء فيها ، ومنع من الثلاث التي خير فيها ؛

فقام لتوديع الحياة يريغه
وعام الى ورد الردي يستسيغه

جلى عن الماء ، كأنه كبد السماء ، فعب في الغروب الدلق ، والاسنة الزرق ، (ليس الكريم على القنا بمحرم) .

وهكذا في عاشر المحرم أبيحت الحرمات ، وأفيضت على النور الظلمات ؛ فتفاقم الحادث ، وحمل على الطيبين الاخابث ، وقدر للسبط ان يلقى مصرعه ، فضرب على عاتقه ويسراه ، وما أجرأ من اسال دمه واجراه ؛ ثم قتل ذبحا ، وغودر يبكي حتى العاديات ضبحا ! الى خدود خدوها ، وقدود قدوها ، استحلوها وانتهكوها :

أترجو أمة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب

فيا لعظمة هول الموقف ، انها مصيبة ، لا يجبرها سرور الدهر !

اية فتنه عمياء ، وداهية دهياء ؛ لا تقوم بها النوادب ، ولا تبلغ معشارها النوائب ، طاشت لها النهى وطارت ، وأفلت شهب الدنيا وغارت ؛ لولاها ما دخل ذل على العرب :

وان قتيل الطف من آل هاشم
أذل رقاب المسلمين فذلت

٨ - وتنتهي فصول المأساة ، والناس منها فريقان :

فريق ينادي :

تذكرت يوم الطف من آل هاشم
وما يومنا من آل حرب بواحد

لئن رقد النصار عما أصابنا
فما الله عما نيل منا براقد

ومتقرب يشدو - ونعم الشادي :

مررت على ابيات آل محمد
فلم أرها امثالها يوم حلت

وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية
لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

اما هو - ويأسف - فلا هو من قبيل ولا من دبير : «.. وأنا قد ران على قلبي ما اكسب ، فلا انمي بقربة ولا انتسب ؛ (جللا كما بي فليك

التبريح) ... وهذا التأمين ، عما في الضمير يبين ؛ ورب لسان ، أشفى من سنان .. الى علمك المحيط أكل صفاءه ، وعلى فضلك البسيط أقف رجاه ؛ فأكرمه اللهم بقبولك..»

طريقته واسلوبه :

١ ـ من هذه الفقرات التي اوردناها من فصول الكتاب نستطيع ان نعرف اسلوب المؤلف وطريقته في الكتابة ؛ «فأبن الابار مؤرخ اديب مسلم ، تعلق قلبه بحب الرسول وذريته ؛ وقد كان هذا الكتاب منه انتاج العقل والقلب معا ، انتاج الرجل العالم المثقف الذي وعى التاريخ وعرف حقائقه ، فلا صعوبة عليه في ذكرها ، والذي ملك أعنة البيان ، فلا صعوبة عليه في التعبير باللغة التي يريدها ، والاسلوب الذي يريده ؛ والذي تملكته عاطفة الرسول ، والوفاء لآل الرسول ، فألهب خياله ، واطلقت قلمه بالتعبير..[٣٨]» .

٢ ـ وقد اختار لهذا الكتاب أن يكون اسلوبه من اللون المسجوع ، وربما كان لا يصلح في مثل هذه المواضيع المثيرة غيره من الاساليب ؛ فالصنعة البديعية ، والجرس اللفظي ، كان لهما أثرهما القوي على نفسية القارىء العربي ، في مثل هذه العصور .

٣ ـ فغير بدع أن نرى المؤلف يلتزم انماطا من السجع ، وألوانا من التجنيس ، وضروبا من التضمين والاقتباس والتلميح ..

وهو لا يكتفي بأن يعقد السجع بين الجملتين ، بل قد يتعدى الى ثلاث جمل أو اكثر : (أي بنى الطلقاء ، ما أقعدكم عن الابقاء ، واقامكم الى المنقاء) . كما أنه لا يكتفي كذلك ، باتفاق اواخر الفواصل في الحروف ، بل يطلب اتفاق اكثر من ذلك ، حتى يصل الى خمسة حروف وستة : ـ وهو ما يسمى عندهم بلزوم ما لايلزم ؛ فمن التزامه ثلاثة أحرف : (.. فقل في قوم شرعوا الدين القيم ، ومنعوا اليتيم أن يقهر والايم ؛ ما قد من أديم آدم اطيب من ابيهم طينة ، ولا اخذت الارض من مساعيهم زينة) .

ومن التزامه اربعة أحرف ، (.. يا لك أنجم هداية ، لا تصلح الشمس لهم داية) .

ومن التزامه خمسة ، (.. تذامروا ، والردى موجه يلتطم وتوامروا) .

ومن التزامه ستة (.. مكثت للرسالة مواسية وأسية ، فثلثت في بحبوحة الجنة مريم وآسية..) .

وفي التجنيس يعتمد كثيرا الجناس الناقص ، ويلجأ الى الكلمات المتشابهة الحروف والنطق ، فيصوغها متجاورة في العبارة الواحدة او الجملية ؛ (.. فان تميزوا فبشريعتهم البيضاء ، أو تحيزوا فلعشريتهم الحمراء) .

ثم كذلك لا بد ان تنتهي هذه الفقرات بآية قرآنية ، أو حديث نبوي ، او قول مأثور ، أو شعر ، او مثل سائر .. وهذه أمثلتها كما يلي :

(... اولئك السادة احيي وافدي ، والشهادة بحبهم اوفى واؤدى ؛ ـ «ومن يكتمها فانه أثم قلبه» ـ) .

(.. ودلف علي ، وقياد جيشه عصى ؛ قد لبسوا المسوح ، وتعودوا الفتوح ؛ منايا المنافقين والكفار ، وبقايا المهاجرين والانصار ؛ ـ «اذا رؤوا ذكر الله» ـ) .

(.. رضوا في ذاته رضى ، فمشوا الى الموت ركضا ؛ «انا والله لا نموت حبجا كما يموت بنو مروان» ـ) .

(... نجاره الكرم ، وداره الحرم :
نمته العرانين من هاشم
الى النسب الاصرح الاوضح)

(.. هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ، ولشعار الصدق من شعرات القص ألزم..) .

ومع كل هذا ، فهو اسلوب له مسحته

(٣٨) عبد العزيز عبد المجيد ، ابن الابار حياته وكتبه ص: ٢٩١ .

البلاغية ، وبراعته الفنية ؛ وهو في حاجة الى دراسة أوسع ، نرجو أن تتاح لنا الفرصة لذلك ، في طبعة قادمة بحول الله .

قيمته

٤ - ولكتاب «درر السمط» الذي ننشره اليوم ، ويرى النور لاول مرة ، قيمته التاريخية والادبية ، فهو نمط فريد في كتابة السير والتراجم ، نحا فيه مؤلفه - كما يقول العبدري[٣٩] - منحى ابن الجوزي ؛ وقد عرفه الناس في حياة المؤلف واخذوه عنه ، وتدارسوه بعده[٤٠] ، وعلقوا عليه وشرحوه .

٥ - ومن الذين كتبوا عنه :

ابو القاسم محمد بن احمد الشريف السبتي (ت ٧٦٠هـ)[٤١] وابو جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي المراكشي (ت بعد ١٠١٦هـ)[٤٢] امره بذلك السلطان ابو العباس المنصور السعدي ، وجعل بين يديه خزائنه العلمية ، فانتقى منها - كما يقول - خمسمائة كتاب ، استعان بها على حل تلميحاته واشاراته التاريخية ، ووضع شرحا أبدأ فيه وأعاد ، واسماه «نظم الفرائد الغرر ، في سلك فصول الدرر» وقد اعجب به السلطان ، واجازه على ذلك جائزة فائقة[٤٣] .

٦ - نوه بقيمة الكتاب كثيرون ، قال ابو العباس المقري في النفح ، - بعد ان اورد فصولا منه - : «انه غاية في بابه»[٤٤] .

ويقول ظافر الازهري في اليواقيت الثمينة ، - وهو يعطينا صورة مختصرة عن محتويات الكتاب - (... وقد اشتمل من تأبين اهل البيت ، رضوان الله عليهم - على مايجرح الفؤاد ، ومن تبيين مناقبهم الطاهرة ، ومفاخرهم الظاهرة ؛ - على ما هو تحفة ذوي التأديب والاسناد..) .

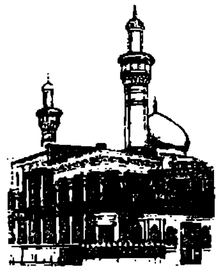
ومن المحدثين ، الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، - قال - وهو يذكر من مزايا هذا الكتاب على غيره من مؤلفاته ابن الابار - (.. ولا احسب هذا الكتاب الذي جمع بين قوة العقل ، وقوة الحب ، وقوة الخيال ، الا كتابا معبرا تعبيرا صادقا عن قدرة مؤلفه البلاغية[٤٥]» .

٧ - ونرجح ان المؤلف كتبه في اخريات حياته وهو يعيش أزمة نفسية بمدينة بجاية ، فجاء صورة صادقة لنفسه وقلبه وعواطفه ومجلى لثقافته الموسوعية ونضجه الفني .

٨ - والكتاب الى ذلك ، يمثل صفحات مجهولة في تاريخ الادب الشيعي بالغرب الاسلامي ، مما لفت نظرنا الى تحقيقه والعناية بنشره .

(المحققان)

(٣٩) انظر الرحلة ص ٢٧١
(٤٠) نفس المصدر
(٤١) الاحاطة لابن الخطيب ٢/١٣٢
(٤٢) روضة الآس للمقري ص٢٢٧
(٤٣) نفس المصدر ص٢٧٧
(٤٤) انظر ج ٤ ص٤٠٤ - تحقيق احسان عباس ١٣٨٨/١٩٦٤
(٤٥) انظر ابن الابار حياته وكتبه ص٢٩١ .



مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على مولانا محمد وآله

قال الشيخ الفقيه، العالم المحدث الحافظ ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن الابار القضاعي ؛ رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين :

«رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت»(1) ، فروع النبوة والرسالة ، وينابيع السماحة والبسالة ؛ صفوة آل ابي طالب(2) ، وسراة(3) بني لؤي بن غالب(4) ؛ الذين حياهم الروح الامين(5) ، وحلاهم الكتاب المبين(6) ؛ فقل في قوم شرعوا الدين القيم(7) ، ومنعوا اليتيم أن يقهر والأيم(8) ؛ ما قُدّ من أديم آدم أطيب من أبيهم طينة(9) ، ولا أخذت الارض أجمل من مساعيهم زينة(10)؛ لولاهم ماعبد الرحمان ، ولاعهد ايمان وعقد الامان(11). ذؤابة غير أشابة(12)، فضلهم ماشانه نقص ولا شابه ؛

(1) الآية : سورة هود رقم 11

(2) ابو طالب كنيته ، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم والد علي ، وعم النبي (ص) وكافله ومربيه (ت3 ق هـ) انظر طبقات ابن سعد 1/125 ، والسهيلي ، الروض الانف 1/78 .

(3) سراة القوم: اشرافهم .

(4) لؤي بن غالب بن فهر من اجداده(ص) انظر ابن حزم : جمهرة الانساب ص : 12 ، والسهيلي الروض الانف 1/6

(5) لعله يشير الى قوله تعالى : «سلام على آل ياسين» على رواية الكلبي : انهم آل محمد ، واستبعده الواقدي ؛ انظر فتح القدير للشوكاني 4/410 .

(6) وردت في ذلك عدة آيات : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» ، «قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى» ، «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم» . انظر الصواعق المحرقة ص :90 .

(7) شرعوا الدين : أظهروه ، قال علي : (فاين يتاه بكم ، بل كيف تعمهون ، وبينكم عترة نبيكم ، وهم أزمة الحق ، واعلام الدين..) انظر نهج البلاغة الخطبة 83 ، وخطبة 234 ، وزهر الآداب 1/62 .

(8) قال ابن عباس في آية : «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله» ـ انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين . انظر الشوكاني ، فتح القدير 5/349 .

(9) انظر صحيح مسلم شرح النووي 15/36 ـ 27 ، والشفاء لعياض 1/140 ـ 145 ، والمواهب اللدنية 1/7 ، وص70 .

(10) انظر زهر الآداب 1/65 .

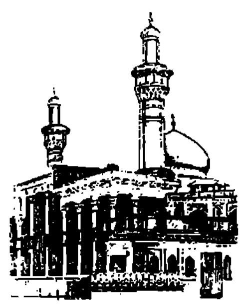
(11) ورد (الا ان مثل أهل بيتي مثل سفينة، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) اخرجه الحاكم في مستدركه 3/151 ، وانظر مناقب قرابة الرسول في صحيح البخاري 2/195 .

(12) ذؤابة الشيء : أعلاه ذؤابة قومه : رئيسهم والمتقدم فيهم . والاشابة : الاخلاط الذين لا تمايز بينهم .

سرارة محلتهم[١] سر المطلوب ، وقرارة محبتهم حبات القلوب ؛ أذهب الله عنهم الرجس[٢] ، وشرف بخلقهم الجنس ، فان تميزوا فبشريعتهم البيضاء[٣] ، أو تحيزوا فلعشيرتهم الحمراء[٤] ؛ من كل يعسوب كتيبة[٥] ، منسوب لنجيب ونجيبة[٦] ؛ نجاره الكرم ، وداره الحرم .

نمته العرانين[٧] من هاشم[٨] — الى النسب الاصرح الاوضح
الى نبعة فرعها في السما — ومغرسها سرة[٩] الابطح[١٠]

اولئك السادة أحيي وأفدي ، والشهادة بحبهم أوفي[١١] وأؤدي ؛ «ومن يكتمهما فانه آثم قلبه[١٢]» .



(١) سَرارة الموضع : اشرفه واكرمه .
(٢) اشارة الى قوله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت» .
(٣) تلميح الى حديث : (جئتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الاهالك) .
(٤) كناية عن استشهادهم في سبيل الله، قال أبو تمام : (تردى ثياب الموت حمرا ...)
(٥) يعسوب الكتيبة : قائدها .
(٦) النجيب : الكريم الحسيب .
(٧) العرانين : الاوائل .
(٨) هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة.. واسمه عمرو ، غلب عليه لقب هاشم ، قيل لانه أول من هشم الثريد لقومه ، واليه ينتسب الهاشميون . انظر طبقات ابن سعد ١/٧٥ ـ ٨١ ، وابن الاثير ٢/٦ وجمهرة الانساب ص١٤ .
(٩) الابطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، وسرة الابطح ، المراد بها مكة .
(١٠) أورد البيتين في زهر الآداب ولم ينسبهما ، انظر ١/٦٢ ـ ٦٣ .
(١١) إشارة الى قوله تعالى : «قل لاأسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ..» ، قال سعيد بن جبير : قربى آل محمد . انظر الكشاف ٤/٢١٩ والبيضاوي ص٦٧٤ .
(١٢) الآية ٢٨٣ سورة البقرة ٢.

«فصل»

مأساة آل البيت مقدور كائن

(حيها أوجها على السفح غرا   وقبابا بيضا ونوقا حمرا)

أي صفحات شربت ماء بشرها الصفاح[١]، وترحات ماشفى تباريحها الا السفاح[٢]؛ «ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا»[٣].

يالهفا للملة وهت معاقدها[٤] وهوت فراقدها[٥]، فتسلط الانقص على الاكمل[٦]، واختلط المرعي بالهمل[٧] «ان في ذلك لآيات للمتوسمين[٨]». شد ماشالت النعامة[٩]، ومالت الدعامة، وآلت الى الاستكانة الزعامة؛ تالله ماراعت تلك الاجداث[١٠]، حتى قعد مقعد الشيخين[١١]الاحداث؛ ولي امر الامة الاغمار[١٢]، فسفكت الدماء ونهبت الأعمار؛ وأسي بن عمر[١٣]، لاعتزاله يوم قتل عمار[١٤]؛ فود الإسلام، ـ إذ جد به الإصطلام[١٥]؛ واعيا الاجتماع بعد الافتراق، وحيا بغير الحياة أهل الشام

---

(١) صفحات جمع صفحة: الخد، والصفاح: السيوف، يشير الى مأساة آل البيت وفتك الامويين بهم.

(٢) السفاح هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء الدولة العباسية، ولقب بالسفاح لكثرة ماسفح من دماء بني أمية (ت١٣٦ هـ)، وقد انتقم لآل البيت كما تشير اليه عبارة المؤلف.

انظر في ترجمة السفاح ابن الاثير ١٥٢/٥، والطبرى ١٥٤/٩، والنبراس ص ١١ ـ ٢٣.

(٣) الآية: ٣٣ سورة الاسراء، رقم ١٧٠.

(٤) وهت: ضعفت. المعاقد جمع معقد: مواضع العقد، ويعني بمعاقد الملة، آل البيت الذين توثقت بهم عرى الدين.

(٥) الفراقد جمع فرقد: كوكب، أراد بهم كذلك آل البيت.

(٦) يعني به تسلط بني أمية على آل علي.

(٧) المرعى: الابل التي فيها رعاؤها، والهمل: ضدها. انظر مجمع الامثال ٢٣٨/١ ولسان العرب مادة: همل.

(٨) الآية ٧٥ سورة الحجر، رقم ١٥

(٩) يقال شالت نعامة القوم: تفرقت كلمتهم وذهب عزهم، انظر مجمع الامثال ٢٣٩/١. ولسان العرب مادة: شول.

(١٠) الاجداث جمع جدث: القبر، وراعه الأمر: افزعه.

(١١) أي أبي بكر وعمر.

(١٢) الاغمار جمع غمر: الجاهل

(١٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، من علماء الصحابة ونساكهم؛ أفتى في الاسلام ٦٠ سنة، (ت٧٣هـ). ويروى عنه أنه كان يقول: (ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا، الا أني لم اقاتل الفئة الباغية). انظر طبقات ابن سعد ١٤٢/٤، ١٨٢ وصحيح البخاري ١٩٧/٢، صحيح مسلم ٣٨/١٦، الاستيعاب ٩٥٠/٣ ـ ٩٥٣، الاصابة ١٠٧/٤ ـ ١٠٩.

(١٤) عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي، صحابي بن صحابي، شهد الجمل وصفين مع علي، (ت٣٧هـ). قال فيه صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار. انظر صحيح البخارى ١٩٧/٢ ـ ١٩٨، الطبقات ٢٤٦/٣ ـ ٢٦٤، الاستيعاب ١٣٥/٣.

(١٥) جد به الامر: اشتد، الاصطلام: الاستئصال والابادة.

أهل العراق[١] ؛ ـ لو عمر عمر[٢] ، فلازمه النساء[٣] وسالمه الصباح المساء ؛ حتى لا يراق دم ، ولا يراقب ندم[٤] ؛ «ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد[٥]» . كان بعده كسر الباب[٦] ، سببا لتقطع الاسباب ؛ والمقدور كائن[٧] . جدد الحتف ، وجرد السيف ؛ فأبيح حمى المهاجرين والانصار، واتيح لاهل البيت[٨] ، يوم كيوم الدار[٩] ؛ (تلك الرزية لارزية مثلها[١٠]) .

«فصل»

صبر آل البيت على الموت

يالك أنجم هداية ، لاتصلح الشمس لهم داية[١١]؛ كفلتهم في حجرها النبوة «ذرية بعضها من بعض[١٢]. سرعان ما بلي منهم الجديد ، وغري بهم الحديد ؛ نسفت أجبلهم الشامخة وشدخت[١٣] غررهم الشادخة[١٤] ؛ فطارت بطررهم الارواح [١٥]، وراحت عن جسومهم الارواح ؛ بعد ان فعلوا الأفاعيل ، وعيل صبر أقتالهم وصبرهم[١٦] ما عيل .

يود اعداؤهم لو انهم قتلوا وأنهم صنعوا بعض الذي صنعوا[١٧]

تذامروا ، والردى موجه يلتطم ، وتوامروا[١٨]، والقنا يكسر بعضه بعضا ويحتطم ؛ فان يكونوا ماعرجوا في مراقي الملك ، فقد درجوا في مهاوي الهلك .

---

(١) يشير الى وقعة صفين ، انظر الطبري ٥/٢٣٦ و ٦/١ ـ ٤٠ ، المسعودي ٢/٣٨٤ ـ ٤١٤ ، ابن الاثير ٣/٢٢٨ ـ ٢٧٣ .

(٢) هو عمر بن الخطاب العدوي الخليفة الثاني ، انظر صحيح البخاري ٢/١٩٠ ، ومسلم ١٥/١٩٣ ، الطبقات ٣/٢٥٦ ، الاستيعاب ٣/١١٤٤ ، الاصابة .

(٣) النساء : طول العمر .

(٤) يراقب ندم : يخاف .

(٥) الاية ٢٥٣ سورة البقرة ، رقم ٢ .

(٦) يشير الى ما روى عن عمر أنه مشهدا ، تجلت فيه عظمة الاسلام وقوة المسلمين : فقال : (يا حذيفة : كم هذا ترى يبقى للناس ؟ قال : فقلت : على الفتنة باب فاذا كسر الباب أو فتحت ، خرجت : ففزع عمر فقال : وما ذلك الباب ؟ وما كسر الباب أو فتحه ؟ قلت : رجل يموت أو يقتل) يعني عمر . انظر طبقات بن سعد : ٣/٣٣٢ ـ ٣٣٣

(٧) يشير الى قوله تعالى : «وكان امر الله قدرا مقدورا» انظر باب القدر في البخاري ٤٠/٩٧ ـ ٩٨

(٨) يعني به يوم كربلاء .

(٩) يوم الدار : هو اليوم الذي تسور فيه المتمردون على عثمان داره فقتلوه : انظر تفاصيل مقتله في بن الاثير ٣/١٣٣ ، الطبري ٥/١١٣ .

(١٠) صدر بيت من قصيدة لابي تمام يرثي بها المعتصم ويهنىء الواثق انظر الديوان ص . ٢٠٩

(١١) الداية : الظئر .

(١٢) الآية ٣٤ سورة آل عمران ، رقم ٣ .

(١٣) شدخت : كسرت

(١٤) الغرر الشادخة : التي تملأ الجبهة أو تغشى الوجه .

(١٥) الطرر جمع طرة : الناصية ، والارواح : الرياح .

(١٦) أقتال جمع قتل بكسر القاف : العدو .

(١٧) البيت لابي تمام في رثاء حميد ، انظر الديوان ص٣٢٢ .

(١٨) تذامروا : تحاضوا على القتال : وتوامروا : تشاوروا .

(ونحن أناس لاتوسط عندنا   لنا الصدر دون العالمين أو القبر[١]) ،

وعلى هذا فقد نجموا ونجبوا[٢] ، مع الحتوف الشداد ، والسيوف الحداد ، والتمر أنمى على الجداد[٣] ؛ ماأعجب كلمة أبيهم ، ظهر صدقها فيهم : (بقية السيف أنمى عددا ، وأنجب ولدا[٤]) : «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا[٥]» . رضوا في ذاته رضا ، فمشوا الى الموت ركضا ، (انا والله لانموت حبجا[٦]) ، كما يموت بنو مروان[٧] ؛

(تسيل على حد الظباة نفوسنا   وليست على غير السيوف تسيل[٨]

«فصل»

خطاب الى بني امية «الحق ابلج والباطل لجلج»

اي بني الطلقاء[٩] ، ماأقعدكم عن الأبقاء ، وأقامكم الى العنقاء[١٠]؛ كبرت ان تصاد[١١]، فعليكم الاقتصاد ، ولاتقيموا الرقب والارصاد ؛ اياكم والشماتة ، فلا تدركوا ذلك الاحياء ولاتلك الاماتة .

(فيم الشماتة اعلانا بأسْدِ وغى   أفناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع؟!

لاغرو أن قتلوا صبرا ولاعجب   فالقتل للصبر في حكم القنا تبع[١٢]

الحق أبلج ، والباطل لجلج[١٣]؛ «فلا تغرنكم الحياة الدنيا[١٤]، ربما ارتاب ناظر في هلكة العلوية ، وملكة الاموية . وشفاء مابه قريب . ان كان له من الفهم نصيب ؛ (الانبياء اشد الناس بلاء ، ثم الذين يلونهم[١٥]) ، فضلا عمن يلدونهم ؛ «انا وجدنا آبائنا على امة[١٦]» .

«فصل»

خديجة ام فاطمة

(١) البيت لابي فراس الحمداني ، انظر الديوان ص١٤ .
(٢) نجم : ظهر وطلع ، ونجب الولد : كرم حسبه .
(٣) التمر أنمى : زاد نموه ، الجداد : صرام النخل وقطعه .
(٤) وفي رواية أبقى عددا واكثر ولدا «انظر نهج البلاغة شرح عبده ٣/١٩٦ والعقد ١/٤٠ .
(٥) الآية ١٦٩ سورة آل عمران ،٣ .
(٦) الحبج : ان يأكل البعير لحاء العرفج ويسمن ، وربما أكثر منه فقتله .
(٧) أصل هذا الكلام لابن الزبير، انظر لسان العرب العرب مادة : حبج .
(٨) البيت للسموأل ، انظر ديوان الحماسة لابي تمام ١/٤٩٩ .
(٩) الطلقاء جمع طليق ، يقال لمن اطلق من اسار ووثاق ، ويطلق على مسلمة الفتح لمن الرسول(ص) عليهم . انظر مشارق الانوار مادة طلق ، وسيرة ابن هشام فتح مكة .
(١٠) العنقاء : ويقال عنقاء مغرب : حيوان وهمي ، وقيل هو طير غريب . انظر حياة الحيوان ٢/١٦٢ .
(١١) ينظر الى قول ابي العلاء المعري : أرى العنقاء تكبر أن تصادا .. انظر نفس المصدر ١٢٦ ـ ١٦٤ وشرح التنوير على سقط الزند ١/١٥٦ .
(١٢) البيتان لابي تمام في رثاء بني حميد ، انظر الديوان ص٣٢٢ .
(١٣) من الامثال ، ويعنى به أن الحق واضح والباطل ملتبس . انظر مجمع الامثال ١/٢٠٧
(١٤) الآية ٣٣ سورة لقمان ، رقم ٣١ . والآية ٥ سورة فاطر ، رقم ٣٥ .
(١٥) يشير الى حديث (أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فا لامثل) انظر المناوي على الجامع الصغير ١/٥١٨ .
(١٦) الآية ٢٢ ـ ٢٣ سورة الزخرف ، رقم ٤٣ .

ما كانت خديجة[١] لتأتي بخداج[٢] ، ولا الزهراء لتلد الا ازهر كالسراج .

(مثل النحلة لاتأكل الا طيبا ، ولاتضع الا طيبا) .[٣] خلدت بنت خويلد[٤] ليزكو عقبها من الحاشر العاقب[٥]، ويسمو مرقبها على النجم الثاقب ؛ لم تخد بمثلها المهارى[٦] ، ولم يلد له غيرها من المهارى[٧] ؛ آمت[٨] من بعولتها قبله ، لتصل السعادة بحبلها حبله[٩] : ملاك العمل خواتمه[١٠] . رب ربات حجال[١١] ، انفذ من فحول الرجال .

(ومـا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التـذكـير فخـر للـهـلال)[١٢]

هذه خديجة من اخيها حزام[١٣]أحزم ، ولشعار الصدق من شعارات القص ألزم[١٤]؛ ركنت الى الركن الشديد ، وسددت للهدى ، كما هديت للتسديد يوم نبيء خاتم الانبياء ، وأنبيء بالنور المنزل عليه والضياء .

«فصل»

نزول الوحي

وكان قبيل المبعث ، وبين يدي لم الشعث ؛ يثابر على كل حسنى وحسنة ، ويجاور شهرا من كل سنة ؛ يتحرى حراء[١٥] بالتعهد ، ويزجي تلك المدة في التعبد[١٦]؛ وذلك الشهر المقصور على التبرر ، المقدور فيه رفع التضرر[١٧]؛ «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» [١٨]فبيناه لا ينام قلبه وان نامت عيناه[١٩] جاءه الملك مبشرا بالنجح ،(وقد كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح)[٢٠]فغمره بالكلاءة ،

---

(١) خديجة بنت خويلد زوج النبي (ص) الاولى ، (ت٣ق هـ) . انظر في مناقبها ، صحيح البخاري ٢/٢٠٤ ، ومسلم شرح النووي ٨/٦٠ - ٦٢ ، والاستيعاب ٤/١٩١٧ - ١٨٢٤

(٢) الخداع : النقاص غير التام .

(٣) جزء من حديث : مثل المومن النحلة ، أخرجه الطبراني وغيره ، انظر الجامع الصغير (شرح العزيزي) ٣/٢٧٣

(٤) انظر جمهرة الانساب ص١٢٠ - ١٢١ .

(٥) من اسمائه (ص) انظر صحيح البخاري ٢/١٧٥ ، ومسلم شرح النووي ١٥/١٠٤

(٦) جمع مهرية : اجود الابل .

(٧) جمع مهيرة والقياس مهائر : والمخيرة : المرأة الحرة ، والغالية المهر ؛ ولم يلد له (ص) من ازواجه الحرائر الا خديجة ؛ وولدت له مارية القطبية ابراهيم ، وقد وطئها بالملك انظر طبقات ابن سعد ١/١٣٣ - ١٣٤

(٨) أمت : صارت أيمّاً .

(٩) انظر سيرة ابن هشام ، هامش الروض الأنف ١/١٢٢، وطبقات ابن سعد ١/١٣١

(١٠) يشير الى حديث «انما الاعمال بالخواتم» - انظر البخاري ٤/٩٩ .

(١١) الحجال : الستور وربات الحجال كناية عن النساء .

(١٢) البيت للمتنبي من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة . - انظر الديوان (شرح البرقوقي) ٣/١٨٢

(١٣) انظر جمهرة انساب العرب ص١٢٠ - ١٢٢ .

(١٤) يضرب مثلاً للامر لا يفارقك ، انظر مجمع الامثال ١/٣٥٠ .

(١٥) جبل بمكة على نحو ثلاثة أميال ، على يسار الذاهب الى منى . معجم البلدان ٢/٢٣٣ .

(١٦) يشير الى حديث عائشة : وكان يخلو بغار حراء..» - البخاري ١/٣ ، ومسلم شرح النووي ٢/١٩٨

(١٧) انظر سيرة ابن هشام الروض الانف ١/١٥٣ .

(١٨) الآية ١٨٥ سورة البقرة رقم ٢ .

(١٩) يشير الى حديث (تنام عيني ولا ينام قلبي ..) البخاري ٥/١٧٧

(٢٠) انظر البخاري ١/٣، ومسلم شرح النووي ٢/١٩٧ .

وامره بالقراءة : وكلما تحبس له ، غطه[١] ثم ارسله[٢](واذا اراد الله بعبد خيرا عسله[٣]) .

(تـريـدين إدراك المعـالي رخيصـة ولابد دون الشهد من ابر النحل) [٤]

كذلك حتى عاذ بالارق من الفرق[٥] ، وقد علق فاتحة العلق[٦] ؛ فلا يجري غيرها على لسانه ، وكأنما كتبت كتابا في جنانه .

«فصل»

تعرض جبريل للرسول (ص) وهو عائد من حراء

ولما أصبح يؤم الأهل ، وتوسط الجبل يريد السهل ؛ وقد قضى الأجل[٧] ، وما نضا الوجل[٨] ؛ نوجي بما في الكتاب المسطور ، ونودي كما نودي موسى من جانب الطور[٩] ؛ فعرض له في طريقه ، ما شغله عن فريقه[١٠]؛ ورفع رأسه متأملاً ، فأبصر الملك في صورة رجل متمثلاً[١١]، يشرفه بالنداء ، ويعرفه بالاجتباء ؛ وانما عضد خبر الليلة بعيان اليوم ، وأري في اليقظة مصداق ما أسمع في النوم[١٢]: «ليحق الله الحق بكلماته[١٣]» ، وعلى ما ورد في الأثر ، وسرد رواة السير؛ أن ذلك اليوم ، كان عيد فطرنا الآن[١٤]؛ وغير بدع ولا بعيد ، أن يبدأ الوحي بعيد ، كما ختم بعيد[١٥]: «اليوم أكملت لكم دينكم»[١٦] . فبهت عليه السلام لما سمع نداءه ورآه[١٧]، وثبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه[١٨]:

(وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متـأخـر عنـه ولا متقدم[١٩]

ثم جعل بين الخوف والرجاء ، لا يقلب وجهه في السماء ؛ الا تعرض له في تلك الصورة ، وعرض عليه ما أعطاه الله من السورة[٢٠]: فيقف موقف المتوكل ، ويمسك حتى عن التأمل .

---

(١) غطه : ضمه .
(٢) انظر المصدرين السابقين ، والروض الأنف (سيرة ابن هشام) ١/ ١٥٤
(٣) حديث أخرجه الحاكم وغيره ، انظر الجامع الصغير ١/ ٨٢ ، قال المناوي : ومعنى عسله = طيب ثناءه بين الناس.
(٤) البيت للمتنبي يمدح ابا الفوارس ، - انظر الديوان شرح البرقوقي ٤/ ٥ .
(٥) الفرق : الخوف .
(٦) علقها : حفظها ، وفاتحة العلق أولها : «أقرأ باسم ربك ...» ، انظر سيرة ابن هشام١/ ١٥٤ .
(٧) يعني المدة التي قضاها في حراء للتعبد .
(٨) نضا : ذهب وزال : الوجل : الخوف .
(٩) يشير الى قوله تعالى «وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا» الآية ٥٢ سورة مريم رقم ٩١ .
(١٠) فريقه : أهله وجماعته .
(١١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥٤ - ١٥٥
(١٢) انظر المصدر السابق ١/ ١٥٣
(١٣) اقتباس من قوله تعالى : «ويحق الله الحق بكلماته» . الآية ٨٢ سورة يونس رقم ١٠ .
(١٤) أشهر الروايات أنه يوم ٢٤ من رمضان ، وهذا ما رجحه الحافظان : ابن حجر وابن كثير ، انظر الزرقاني على المواهب ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨
(١٥) انظر الفتح ١/ ١١٣ .
(١٦) الآية ٣ سورة المائدة رقم ٥ .
(١٧) راءه بمعنى أبصره ، يقال رأي وراء كنأي وناء : قال الفراء تقول العرب رأيت ورأيت .
(١٨) انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥٥ .
(١٩) البيت لأبي الشيص ، انظر الشعر والشعراء ص ٧٢٢ .
(٢٠) يعني الرتبة والمنزلة

(تتوق اليك النفس ثم أردها ... حياء ومثلي بالحياء حقيق
اذود سواد الطرف عنك وماله ... الى أحد الا اليك طريق[١]

«فصل»

تفقد خديجة للرسول (ص) في شعاب مكة

وفطنت خديجة لاحتباسه ؛ فأمعنت في إلتماسه[٢] ؛ (تزوجوا الودود الولود [٣]). ولفورها بل لفوزها ، بعثت في طلبه رسلها ، وانبعثت تأخذ عليه شعاب مكة وسبلها[٤] :

(ان المحب اذا ما لم يزر زارا)[٥]

طال عليها الأمد ، فطار اليها الكمد : والمحب حقيقة ، من لا يفيق فيقه ؛ بالنفس النفيسة سماحه وجوده ، وفي وجود المحبوب الأشرف وجوده .

كأن بلاد الله ما لم تكن بها ... وإن كان فيها الخلق طرا بلاقع
اقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا دجا ... لي الليل هزتني اليك المضاجع
لقد ثبتت في القلب منك محبة ... كما ثبتت في الراحتين الأصابع[٦]

«فصل»

إياب الرسول (ص) الى خديجة وبوحه لها بالسر وتبشيرها له بالنبوة

وبعد لأي ما ، ورد عليها ، وقعد مضيفا اليها[٧] ؛ فطفقت بحكم الاجلال تمسح أركانه ،

---

(١) البيتان لقيس بن ذريح ، الأغاني ٣/٢٠٢ ، وذكر في الزهرة ص ٤١ البيت الثاني ونسبه لمضرس بن بطر الهلالي .
(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/١٥٥ .
(٣) حديث رواه ابن ماجه ، انظر الجامع الصغير شرح العزيزي ، ٢/١٥٠
(٤) انظر سيرة ابن هشام ١/١٥٥ .
(٥) عجز بيت وصدره : (أزوركم لا أكافيكم ..) والبيت للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ٧٣ انظر نوادر المخطوطات ١/١٥٦ ، أحمد فارس ، تحقيق عبد السلام هرون . قال في العقد الفريد ودخل طفيلي في صنيع من القبط فقال له من أرسل اليك ؟ فأنشأ :
(أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم ... ان المحب اذا ما لم يز زارا)
انظر ٤/٢٥٢
(٦) الأبيات للمجنون ، انظر الديوان ص ١٨٥ والأغاني ١/٤٥ ، ونسبت لقيس بن ذريح ، الأغاني ٩/٤٩ ، وقيل ان قائلها هو ابن الدمينة . انظر معاهد التنصيص ١/١٠٧ .
(٧) انظر سيرة ابن هشام ١/١٥٥ .

وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه ؛ فباح لها بالسر المغيب ، وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب ؛ فعلمت أنه الصادق المصدوق ، وحكمت بأنه السابق المسبوق[١] ؛ (اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله)[٢] . وما زالت ، حتى أزالت ما به من الغمة ، وقالت : (اني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة)[٣] .

اني تفرست فيك الخير أجمعه — والله يعلم أني ما خانني البصر
انت النبي ومن يحرم شفاعته — يوم الحساب فقد أزرى به القدر[٤]

لا ترهب ، فسوف تبهر ، وسيبدو أمر الله ويظهر ؛ أنت الذي سجعت به الكهان[٥] ، ونزلت له من صوامعها الرهبان[٦] ، وسارت بخبر كرامته[٧] الركبان ، أنت الذي ما حملت أخف منه حامل[٨] ، ودرت ببركته الشاة فاذا هي حافل[٩] .

(وأنت لما ولدت أشرقت الأر — ض وضاءت بنورك الأفق[١٠]
فنحن في ذلك الضياء وفي النـ — ـور وسبل الرشاد نخترق[١١]

«فصل»

انطلاق خديجة بالنبي (ص) الى ورقة بن نوفل

وما لبثت أن غلقت أبوابها ، وجمعت عليها أثوابها[١٢]؛ وانطلقت الى ورقة بن نوفل[١٣]، تطلبه بتفسير ذلك المجمل ، وكان يرجع الى عقل حصيف ، ويبحث عمن يبعث بالدين الحنيف ؛ فاستبشر به

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/١٥٥

(٢) حديث أخرجه الترمذي والطبراني وغيرهما ، انظر الجامع الصغير شرح العزيزي ١/٤١ ـ ٤٢ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/١٥٥ .

(٤) البيتان لعبد الله بن رواحة من قصيدة يمدح بها الرسول ، انظر طبقات ابن سعد ، ٣/٥٢٨ وفيها بعض مخالفة .

(٥) انظر سيرة ابن هشام الروض الانف ١/١٣٥ ـ ١٤٢ ، والسيرة الحلبية ١/٢١٦ ـ ٢١٨ .

(٦) يشير الى قصته (ص) مع بحيرا الراهب ، انظر سيرة ابن هشام ١/١١٨ والمواهب ١/١٩٦ ، والسيرة الحلبية ١/٢٠٥ .

(٧) يعني الظواهر العجيبة التي ظهرت قبل ولادته وبعدها ، انظر الطبقات الكبرى ، ١/٨٩ ـ ١٠٢ ، والمواهب اللدنية ١/٦ ـ ٢٢ ، الحلبية ١/٣١ ـ ٣٨ .

(٨) انظر طبقات ابن سعد ١/٩٨ ، الاستيعاب ١/٣٤ ، المواهب اللدنية ١/١٠٦ ، السيرة الحلبية ١/١٥١ .

(٩) حافل : ممتلئة الضرع من اللبن . انظر المواهب اللدنية ١/٤٤ .

(١٠) يعني الآفاق أو الجهات ، ولذلك أنّث الفعل .

(١١) البيتان للعباس بن عبد المطلب يمدح الرسول (ص) حين رجوعه من غزوة تبوك ، انظر طبقات ابن سعد ، والسيرة الحلبية ١/٦٢ ، وشرح لامية العجم للصفدي ١/٢٥٧ .

(١٢) قال ابن هشام «ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل بن أسد» ـ انظر سيرة ابن هشام ، هامش الروض الآنف ١/١٥٥ ـ ١٥٦ .

(١٣) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي ابن عم خديجة تنصر وقرأ كتب الأديان ، أدرك أوائل عصر النبوة (ت ١٢ ق .هـ) . انظر فتح الباري على صحيح البخاري ١/٢٨ ، والنوري على صحيح مسلم ٢/٢٠١ ـ

ناموساً [١] ، وأخبر انه الذي كان يأتي موسى ؛ فازدادت إيماناً ، وأقامت على ذلك زماناً ؛ ثم رأت أن خبر الواحد [٢] قد يلحقه التفنيد ، ودرت أن المجتهد لا يجوز له التقليد [٣] . (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [٤] . فرجعت أدراجها في ارتياد الإقناع ، وألقي في روعها الخمار والقناع ؛ فهنالك وضح لها البرهان ، وصح لديها أن الآتي ملك لا شيطان [٥] :

تدلى عليه الروح من عند ربه ... ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصدنا ... اذا ما اشتهى انا نطيع ونسمع [٦]

«فصل»

إسلام خديجة وتحملها الأذى في سبيل العقيدة

سبقت لها من الله الحسنى [٧] ، فصنعت حسنا وقالت حسنا ؛ «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» [٨] ما فتر الوحي بعدها ، ولا مطل الحق الحي وعدها [٩] ؛ «وعد الله لا يخلف الله وعده» [١٠] دانت بالحق دين الإسلام ، فحياها الملك بالسلام ، من الملك السلام [١١] ؛ من كان لله كان الله له [١٢]. أغنت غناء الأبطال ، فغناها لسان الحال :

(هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا ... يوم التقينا فلم أنطق من الحصر [١٣]
لا أرفع الطرف حولي من مراقبة ... بقياً علي وبعض الحزم في الحذر)

يسرت لاحتمال الأذى والنصب ، فبشرت ببيت في الجنة من قصب [١٤]. ما أمنت من الرعب ، حتى غنيت عن الشبع بما في الشعب [١٥]:

(١) الناموس : صاحب السمر ، وهو جبريل - انظر فتح الباري ١/٢٩ .
(٢) خبر الواحد : هو الحديث الذي لم يصل الى حد التواتر ، رواه واحد أو أكثر ، وللعمل به شروط . انظر المستصفى للغزالي ١/٩٣ - ٩٦ ، والاحكام للآمدي ٢/٣٢ - ٦٨ .
(٣) انظر المستصفى ٢/١٢١ .
(٤) حديث روى من عدة طرق ، قال العلقمي : صحيح لغيره ، انظر العزيزي على الجامع الصغير ٢/٣٨٦ .
(٥) انظر سيرة ابن هشام ١/١٥٧ .
(٦) البيتان لكعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب . انظر سيرة ابن هشام ٢/٢٤٤ .
(٧) اقتباس من قوله تعالى : «ان الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون» .
(٨) الآية ٦٤ سورة التغابن رقم ١١ .
(٩) يشير الى أن هذه القصة وقعت بعد أن فتر الوحي ؛ وهو مما رواه أصحاب السير . انظر سيرة ابن هشام ، الروض الآنف ١/١٥٥ .
(١٠) الآية : ٦ سورة الروم رقم ٣٠ .
(١١) انظر صحيح مسلم شرح النووي ١٥/١٩٩ ، وسيرة ابن هشام الروض الآنف ١/١٦٠ .
(١٢) يشير الى حديث (.. والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون اخيه) .
(١٣) الحصرة : العي في النطق .
(١٤) من معاني القصب الفضة ، انظر البخاري ٢/٢٠٤ ، ومسلم شرح النووي ١٥/١٩٩ ، وطبقات ابن سعد ١/٢٠٨ - ٨١٠ .
(١٥) يعني به شعب أبي طالب ، انظر سيرة ابن هشام ، الروض الانف ١/٢٢٥ وطبقات ابن سعد ١/٢٠٨ - ٢١٠ .

(لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا)[١]

واها لها احتملت عض الحصار ، وما أطاقت فقد النبي المختار !

(بطول اليوم لا ألقاك فيه   وحَولٌ نلتقي فيه قصير)[٢]

والحبيب سمع المحب وبصره[٣] ، وله طول محياه وقصره :

(أنت كل الناس عندي فاذا   غبت عن عيني لم ألق أحد)

مكثت للرسالة مواسية وآسية ، فثلثت في بحبوحة الجنة مريم[٤] وآسية[٥] ؛ ثم ربعت البتول[٦] فبرعت ؛ نطقت بذلك الآثار وصدعت : (خير نساء العالمين أربع[٧]) .

«فصل»

البتول

الى البتول[٨] سير بالشرف التالد وسيق الفخر بالأم الكريمة والوالد : حلت في الجيل الجليل ، وتحلت بالمجد الأثيل ، ثم تولت الى الظل الظليل .

(وليس يصح في الافهام شيء   اذا احتاج النهار الى دليل)[٩]

فصل

فضائل فاطمة

---

(١) البيت لشاعر من بني أسد ، انظر الأمالي ١/١١٢ ، والحماسة لأبي تمام ٣/١٥١١ والصبر - بفتح الصاد وكسر الباء - عصارة شيء مر .

(٢) البيت لجميل بن معمر ، انظر الزهرة ص ٦٠ ، والصناعتين ص ٣ والديوان ١٩٩ ، وفيه يطول اليوم ان شحطت نواها .

(٣) لعله ينظر الى حديث : فاذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به الخ .

(٤) مريم بنت عمران ، انظر تفسير ابن كثير سورة آل عمران ١/٣٩٥ - ٣٦٣ .

(٥) آسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون ، انظر المصدر السابق (سورة التحريم ٤/٣٩٤ .

(٦) يعنى فاطمة بنت الرسول لقبت بالبتول تشبيها لها بمريم البتول في المنزلة .

(٧) حديث رواه أبو زيد المدائني عن أبي هريرة مرفوعا ، انظر الاصابة ٨/١٥٨ ، وفي رواية (حسبك من نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون» بهذا اللفظ أخرجه الامام محمد والترمذي وغيرهما . انظر الجامع الصغير شرح العزيزي ٢/١٢٠ .

(٨) هي فاطمة بنت الرسول (ص) ، سيدة نساء العالمين : (ت ١١ هـ انظر في مناقبها صحيح البخاري ٢/١٩٩ وصحيح مسلم شرح النووي ٦/٢ - ٦ ، وانظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ٨/١٩ - ٣٠ ، والاستيعاب ٤/١٨٩٣ - ١٨٩٩ ، والاصابة ٨/١٥٧ - ١٦٠ .

(٩) البيت للمتنبي ، انظر الديوان شرح البرقوقي ٣/٢٦٦ .

وابيها ، ان ام ابيها[١] ، لا تجد لها شبيهاً ؛ نثرة النبي[٢] ، وطلة الوصي[٣] ، وذات الشرف المستولي على الامد القصي . كل ولد للرسول درج في حياته[٤] ، وحملت هي ما حملت من آياته[٥] ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٦] ، لا فرع للشجرة المباركة من سواها[٧] ، فهل جدوى اوفر من جدواها ؟ ! «الله أعلم حيث يجعل رسالاته[٨] ، حفت[٩] بالتطهير والتكريم ، وزفت الى الكفء الكريم ؛ فوردا صفوة العارفة والمنة[١٠] ، وولدا سيدي شباب أهل الجنة[١١] . عوضت من الامتعة الفاخرة ، بسيد في الدنيا والآخرة[١٢]؛ ما أثقل نحوها ظهراً ، ولا بذل غير درعه مهرا[١٣]؛ كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء[١٤]؛ وبحالة لا حيلة معها في اهداء الحلة السيراء[١٥]؛ فصاهره الشارع وخالله[١٦] ، وقال في معاوية[١٧] (صعلوك لا مال له)[١٨]. «نرفع درجات من نشاء»[١٩].

فصل

فضائل علي

---

(١) ام أبيها : كنية فاطمة بنت الرسول (ص) . انظر الاصابة ٨/١٥٧ ، الاستيعاب ٤/١٩٩ ، الاغاني ١٦/١٣٧

(٢) قطعة منه وفلذة كبده .

(٣) طلة الوصي : زوجته ويعنى بالوصي هنا على بن أبي طالب . انظر المقدمة . وارجع في الوصي والوصية عند الشيعة إلى الملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٦ ، ومقدمة ابن خلدون ٣٥٣ .

(٤) أي كل أولاد الرسول (ص) انقرضوا في حياته ، الا ما كان من فاطمة ، فقد عاشت بعده ستة أشهر .

(٥) وقد كانت فاطمة الزهراء (ص) اشبه بأبيها عليه السلام ، انظر طبقات ابن سعد ٨/٢٦ ، وصحيح مسلم شرح النووي ١٦/٦ ، والاستيعاب ٤/١٨٠٦

(٦) الآية ٤ سورة الجمعة رقم ٦٢.

(٧) انظر الاصابة ٨/١٥٨

(٨) الآية ١٢٤ سورة الانعام رقم ٦

(٩) من هنا تبتدىء المقابلة مع نسخة المكتبة الوطنية بمدريد ويرمز لها بـ (ط) انظر المقدمة .

(١٠) العارفة مؤنث عارف بمعنى معروف العطية : والمنة بكسر الميم الانعام والاحسان

(١١) يشير إلى حديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) ، رواه الطبراني والحاكم وأحمد بروايات مختلفة ، وقال السيوطي انه حديث متواتر . انظر الجامع الصغير شرح العزيزي ٢/٢٢١ ـ ٢٢٢

(١٢) يلمح الى حديث (اما والله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة) انظر الاستيعاب ٤/١٨٩٥

(١٣) انظر طبقات ابن سعد ٨/٢٠ ، الاستيعاب ٤/١٨٩٥ ، الاصابة ٨/١٥٧

(١٤) أي الدرهم والدينار ، روى ابن اسحاق في المغازي الكبرى عن مجاهد عن على أنه خطب فاطمة فقال له النبي (ص) : هل عندك من شيء ؟ قال لا . انظر الاصابة ٨/١٥٧ .

(١٥) الحلة السيراء : ذات الوان . وخطوط يخالطها حرير ؛ وفي الحديث : وأهدى اليه اكيدر دومة ، حلة سيراء ، انظر مشارق الأنوار ١/١٩٥ .

(١٦) اتخذه خليلاً وصاحباً ، يشير الى قوله (ص) لعلي : (أنت أخي وصاحبي) . انظر الاستيعاب ٣/١٠٩٨

(١٧) وكنى عنه المقري في النفح بالبعض تورعا ، انظر ٥/٥٠٦ ـ نشر احسان عباس .

(١٨) هذا طرف من حديث فاطمة بنت قيس الفهرية ، أخرجه مسلم في صحيحه . انظر شرح النووي ١٠/١٩٥ ـ ١٩٨ . وقال في المشارق : والصعلوك بضم الصاد ، فسره ما بعده : لا مال له : وفي رواية : أما معاوية فترب لا مال له أي فقير ، انظر ج ١/١٢٠، و ٢/٤٨ .

(١٩) الآية ٧٦ سورة يوسف رقم ١٢.

لله علي[1] ، علا عن النظراء ، وسامى الزهرة بالزهراء[2] ! كان ثاني خديجة في الايمان[3] ، وأول الذكور أسلم وجهه للرحمان[4] ؛ قبل ما سن قبل سن الخطاب[5] ، لم تكن هذه السابقة لابن أبي قحافة وابن الخطاب[6] . مت بالابوة الى النبوة ، ثم حظي بالاخوة والبنوة . فلولا (أن لا نبي بعدي) - نص في الامتناع ، لكان (أنت مني بمنزلة هارون من موسى[7]) - حجة في الاتباع .

(بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا)[8]

رب فرج أتى من شدة[9] ، وبلى أفضى الى جدة ؛ أسنت[10] أهل مكة ليتمكن سناء علي ، فالزم الحق في تلك الازمة أن يخص بكفالة النبي[11] ؛ فلم يمض الا ليال قلائل ، حتى سطعت البراهين والدلائل ؛ فنجا من التباب[12] ، في ريعان الشباب ؛ (السعيد من سعد في بطن أمه)[13] . رشد هو مترعرعا ، وضل أبوه متسعسعاً[14] ، (كل شيء بقضاء وقدر)[15] .

«فصل»

كفالة ابي طالب للرسول (ﷺ وآله) ونصرته له

وارحمتا لابي طالب ، كفل ثم كفر[16] ؛ ونصر وما أبصر !(أرحموا عزيز قوم ذل)[17] سود وكان أهلا لذلك ، فلو سدد لصافح الملائك ؛ كان شأنه عجباً . دعي للحنيفية فأبى ، وما برح في الحدب

(١) علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو الحسن رابع الخلفاء الراشدين (ت ٤٠هـ) مناقبه في صحيح البخاري ١٩٤/٢ ، وصحيح مسلم ١٧٣/١٥ - ١٨٢ . وانظر ترجمته في الطبقات ٢٣٧/٢ - ٢٤٠ ، الاستيعاب ١٠٨٩/٣ - ١١٣٣ ، الاصابة ٢٦٩/٤ - ٢٧١ .

(٢) اراد بالزهرة الكوكب المشهور ، وبالزهراء فاطمة (ض) يفاخرها بها .

(٣) انظر سيرة ابن هشام الروض الانف ١٦٣/١ ، والاستيعاب ١٠٦/٣ .

(٤) انظر نفس المصدر .

(٥) انظر الاستيعاب ١٠٩٨/٣ - ١٠٩٩ .

(٦) والمزية - كما يقولون - لا تقتضي التفضيل .

(٧) حديث اخرجه البخاري ومسلم ، ولفظ مسلم «أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبي بعدي» . انظر شرح النووي ١٧٤/١٥ .

(٨) البيت للنابغة الجعدي . انظر الشعر والشعراء ٩٦ ، العقد الفريد ٢٥٧/١ ، الأغاني ٨/٥ .

(٩) قال علي : (عند تناهي الشدّة تكون الفرجة) . انظر نهج البلاغة ٢٣٦/٣

(١٠) اسنتوا : اجدبوا .

(١١) انظر سيرة ابن هشام ، الروض الانف ١٦٣/١ .

(١٢) التباب : الخسار ، انظر سيرة ابن هشام ٢٢٠/١ .

(١٣) حديث اخرجه الطبراني : انظر الجامع الصغير ، شرح العزيزي ٣٣٤/٢ .

(١٤) مترعرعاً : شاباً يافعاً ، ومتسعسعاً : شيخاً هرماً .

(١٥) حديث ، انظر الجامع الصغير ٨٤/٢ .

(١٦) انظر في ايمان ابي طالب ، البخاري ١٦٢/١ ، وشرح النووي على مسلم ٢١٣/١ - ٢٢٧

(١٧) حديث ، رواه السليماني في الضعفاء ، وقال ابن الجزري : يعرف من كلام الفضيل بن عياض . انظر الدرر المنتثرة للسيوطي ١٩ .

على أهلها أباً . أسد الله ورسوله[١] كان رأيه أسد ، وأمد سعادته الابدية أمد ، وخصم شقاوته غير محك[٢] ولا ألد ؛ وقي كل محذور ومخشي ، ولقي حبور الانس بحربة وحشي[٣] :

فمن لم يعاين أبا نصر وقاتله فما رأى ضبعاً في شدقها سبع[٤]

وأما هو فحمي الحق وتحاماه[٥] ، وصد عنه صناديد قريش وصاداه[٦] ؛ سعى في نقص الخيفة[٧] ، ودعا الى نقض الصحيفة[٨] ، حتى أدركها التمزيق ، وفرج على يده الضيق ، وامتاز من الصميم اللصيق[٩] ؛ فصفت المناهل والشروب ، ونكصت عن الدين بالشعب[١٠] الشعوب ؛ وقبل إخماد تلك الجمرة ، ما عاذ بالحجر والجمرة[١١] ؛ وذكر بعاطفات الوسائل ، ومكر بعاديات القبائل ؛ فما تقلص ممتد الافياء ؛ ولا مالأ حيه أحد من الاحياء ؛ وعندها أصبح جذلاً ، وقد أنجح مخذلاً ؛ واستقل بنصر المصطفى ، على رغم من رسب وطفا ؛ ولما استقام الناس على الجادة عرد[١٢] ، (شوى أخوك حتى اذا أنضج رمد)[١٣] .

«فصل»

أبو طالب

خاف السبة بزعمه[١٤] ، فخان السنة والوفاء لها من همه ؛ «ان هذا لشيء عجاب»[١٥] عني من القرابة بما لا يعنيه ، فلولاها لما عاير المنصور[١٦] بعض بنيه[١٧] : (أسلم اثنان ، أحدهما أبي ، وكفر

(١) يعنى به حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص) ، وكان يلقب بأسد الله ورسوله ، (ت ٣هـ) . انظر سيرة ابن هشام الروض الانف ١/١٨٥ ، وطبقات ابن سعد ٣/٨ ـ ١٩٨ ، والاستيعاب ١/٣٦٩ ـ ٣٧٥ والاصابة ٢/٣٧ .

(٢) محك : يدعو الى التحكك والتحرش .

(٣) وحشى بن حرب الحبشي ، قتل حمزة عم النبي (ص) في غزوة أحد ، وكان لا يزال كافراً ثم أسلم ، توفي في حدود (٢٥هـ) . انظر الاستيعاب ٤/١٥٦٤ ـ ١٩٦٥ ، الاصابة ٦/٣١٥ وانظر قصة قتله لحمزة في البخاري ٣/١٧ ، وسيرة ابن هشام ، والروض الانف ٢/٢١٩ ، والاستيعاب ١/٣٦٧ .

(٤) البيت لأبي تمام ، انظر الديوان ص ٣٢٢ ، والموشح للمرزباني ص : ٥٢٠ .

(٥) أي أبو طالب .

(٦) صاده بتشديد الدال بمعنى دافعه وضاده .

(٧) الخيفة : الفزع .

(٨) انظر نقض صحيفة القطيعة في سيرة ابن هشام ، الروض الانف ١/٢١٩ ، وطبقات ابن سعد ١/٢٠٩ .

(٩) الصميم : الاصيل الخالص ، واللصيق ، الدعي الذي ألصق بغيره يعني هنا امتاز صميم الايمان من سواه . انظر نهج البلاغة ٣/١٩ ح رقم ١ .

(١٠) يعني شعب أبي طالب . انظر محاصرة بني هاشم بشعب أبي طالب في مسيرة ابن هشام الروض الانف ١/٢٢١ ، طبقات ابن سعد ١/١٢٠٩

(١١) الحجر : حجر الكعبة ، والجمرة : موضع رمى الجمار بمنى .

(١٢) عرد : حاد عن الطريق .

(١٣) مثل يضرب لمن يردف صلاحه بما يورث سوء الظن ، أو لمن يفسد اصطناعه بالمن . انظر مجمع الامثال ١/٣٦٠ .

(١٤) انظر سيرة ابن هشام الروض الانف ١/٢٥٨ ، والاستيعاب ١/٣٧١

(١٥) الآية ٥ سورة البقرة رقم ٢ .

(١٦) هو ابو جعفر المنصور ، ثاني الخلفاء العباسيين (ت ١٥٨) . انظر ابن الأثير ٥/١٧٢ ، و٦/٦ ، والطبري ٩/٢٩٠

(١٧) اراد به محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (ت ١٤٥) .

اثنان ، أحدهما أبوك[١] . أتيح له حرباء تنضبة[٢] ، يرى تضليله أكبر مأربة ؛ «ومن يهن الله فما له من مكرم»[٣] . تجاذبته الشقاوة والسعادة ، فنفذت بالمكروه في المحبوب الارادة ؛ «انك لا تهدي من أحببت»[٤] صم عما جهر له بابلاغه ، فصمم لما تغلي منه أم دماغه[٥] «وكان امر الله قدراً مقدوراً»[٦] غلبه ابو جهل[٧] على علمه ، واستنزله[٨] ولا ارجح من حلمه[٩] ؛ (قوموا انظروا كيف تزول الجبال)[١٠]! فليت عدو الله بالعداوة هام ، وغلى القطيعة دام ؛ فلم يدخل عليه عائداً ، ولا كره الايمان اليه عامداً . ما زاد على سجايا اللئام ، قطع في الحياة ووصل في الحمام .

(لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي)[١١]

«فصل»

ايمان علي

لكن امير المؤمنين عليا ، رفعه الله مكاناً عليا[١٢] ، أم أمه وأباهِ ، ونادى كل من اختدعه واستهواه : «اف لكم ولما تعبدون من دون الله»[١٣] . ما تلبس بطاعة أوثان وأصنام ، ولا قصر نفسه وحبس على غيره صلاة وصيام ؛ شن على الكفرة غارة الابادة ، وشب يألف عادة العبادة ؛ (يعجب ربك من شاب ليست له صبوة)[١٤]برع بفضل الطبع ، وقرع النبع بالنبع[١٥]؛ اذ وفي بحق المصاع[١٦]،

(١) يعني أسلم العباس جد العباسيين ، وكفر ابو طالب جد الطالبيين آل علي . انظر الرسائل المتبادلة بينهما في الطبري ٩/٢١١ - ٢١٣ .

(٢) يشير الى قول الشاعر : (أني أتيح له حرباء تنضبه ..) و (حرباء تنضبة) مثل يضرب لمن يلزم الشيء ولا يفارقه . انظر مجمع الامثال ١/٢١٢ ، ويقال فلان يتلون تلون الحرباء ... انظر حياة الحيوان ١/٢٣٠ - ٢٣٢ .

(٣) الآية ١٨ سورة الحج رقم ٢٢ .

(٤) الآية ٥٦ سورة القصص رقم ٢٨ .

(٥) يشير الى حديث «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كفيه يغلي منه دماغه» انظر الروض الانف ١/١٥٨

(٦) الآية ٣٨ سورة الأحزاب رقم ٣٣ .

(٧) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أشد الناس عداوة للنبي (ص) في صدر الاسلام شهد وقعة بدر مع المشركين فكان فيها مصرعه . انظر ابن الأثير ١/٢٣ - ٢٧ ، وعيون الأخبار ١/٢٣٠ .

(٨) انظر الروض الانف ١/٢٥٩ .

(٩) انظر سيرة ابن هشام ، الروض الانف ١/٢٥٩ .

(١٠) عجز بيت من قصيدة لعبد الله بن المعتز يرثي بها عبد الله بن سليمان بن وهب وصدره : «هذا ابو العباس في نعشه» . انظر الديوان والعمدة لابن رشيق ٢/١٥٠ .

(١١) البيت للنابغة الجعدي ، وفي رواية (بعد الموت تندبني) ويضرب مثلاً لمن يضيع أخاه في حياته ثم يبكيه بعد موته . انظر مجمع الأمثال ٢/٢٤٨ ، والعقد ١/٣٢٩ .

(١٢) اقتباس من قوله تعالى : «ورفعناه مكانا عليا» .

(١٣) الآية ٦٧/٢١ سورة الانبياء رقم ٢١ .

(١٤) حديث رواه أحمد والطبراني ، انظر الجامع الصغير شرح العزيزي ١/٣٦٩ .

(١٥) النبع : شجر للقسي والسهام ، وفي المثل : «لو اقتدح بالنبع لأورى ناراً» يضرب لمن يوصف بجودة الرأي وحذق الأمور .. انظر مجمع الامثال ٢/٢١١ .

(١٦) المصاع بكسر الميم : المكيال ، ووفى وأوفى بمعنى .

وأوفى الكفرة بالصاع . «فطفق مسحا بالسوق والاعناق»[١] . ما عرد ولا عرج ، ولا تحرك يرجع من إليه خرج ؛

علي ليس يمنع من مجيء مبارزه ويمنعه الرجوعا
علي قاتل البطل المفدى ومبدله من الزرد النجيعا[٢]

بطش في كل كفاح بالاقران ، وأنسى مواضي الهند وعوالي المران[٣] . ولله وثباته[٤] يوم بدر وثباته ؛ صدراً في كل قلب وقلبا في كل صدر ؛ مآخاه[٥] المختار . «وربك يخلق ما يشاء ويختار»[٦] . كفل أبو طالب كفالة الاب[٧] ، فنزل علي منزلة الأخ[٨] ، «هل جزاء الاحسان الا الاحسان»[٩] .

«فصل»

زواج علي بفاطمة

لما رجع علي فعلاً ، صلح لفاطمة بعلاً ؛ «الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات»[١٠] فازت بعصمتها قداحة[١١] وأورى في خطبتها اقتداحه[١٢] .

(فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها)[١٣]

لا جرم أن من تصدى لها صد ، أو تردد في شأنها رد[١٤]؛ حتى حسده صنفه ، ذاك الفحل لا يقدع أنفه[١٥].

---

(١) الآية ٣٣ سورة ص رقم ٣٨ .

(٢) البيت للمتنبي . انظر الديوان (شرح البرقوقي) ٦٢/٢ .

(٣) المران (بضم الميم تشديد الراء) : الرماح الصلبة اللدنية ، واحدتها : مرانة .

(٤) وثباته الأولى جمع وثبة ، والثانية : ثباته مصدر ثبت . انظر عن دوره ببدر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد ٢٢/٣ وغيرهما .

(٥) انظر في مواخاة الرسول (ص) لعلي : سيرة ابن هشام ، الروض الانف ١٨/٢ ، طبقات ابن سعد ٢٢/٣ ، الاستيعاب ١٠٨٩/٣ - ١٠٩٩ .

(٦) الآية ٦٨ سورة القصص رقم ٢٨ .

(٧) انظر سيرة ابن هشام ، الروض الانف ١١٧/١ ، الطبقات ١١٨/١ ، الاستيعاب ٢٤/١ .

(٨) يشير الى حديث (أنت مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي) . انظر الطبقات ٢٣/٣ ؛ الاستيعاب ١٠٩٨/٣ ، الاصابة ٢٧١/٤ .

(٩) الآية ٦٠ سورة الرحمن رقم ٥٥ .

(١٠) الآية ٢٦ - سورة النور رقم ٢٤

(١١) القداح جمع قدح .

(١٢) في المثل : وريت بك زنادي ، يضرب عند لقاء النجح . انظر مجمع الأمثال ٣٦٧/٢ .

(١٣) البيت لأبي العتاهية ، من قصيدة يمدح بها المهدي . انظر الديوان ص ٣١١ .

(١٤) يروى أن أبا بكر خطب فاطمة فقال له (ص) : انظر بها القضاء ، ثم جاء عمر فخطبها ، فقال له مثل ذلك . انظر طبقات ابن سعد ١٩/٨ .

(١٥) يقدع : يضرب ، فالفحل الكريم لا يهان ؛ وفي المثل : هو الفحل لا يقدع أنفه ، يضرب للشريف لا يرد عن مصاهرة ومواصلة . انظر مجمع الأمثال ٣٩٥/٢ . وجاء في خطبة عمرو بن أسد ، عم خديجة لما أجاب عن خطبة أبي طالب : هو الفحل الذي لا يقدع أنفه . انظر الروض الانف ١٢٢/١ .

(ولـو رامـهـا أحـد غـيره لـزلـزلـت الأرض زالـزالـهـا)[١]

ما أدل نقد الحصداء الدلاص[٢]، على الثقة بالخلاص والاخلاص ! دفع اليها جنة الحرب ، وعرض نحره للطعن والضرب :

(تهـون علينـا في المعـالي نفـوسنـا ومن خطب الحسناء لم يغله المهرُ)[٣]

أقرضت النبوة ما أقرضها ناجله[٤] ، وزيد المصاهرة فأقصر مساجله .

(وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويجهـد أن يـأتي لـهـا بضريب)[٥]

«فصل»

خصوم علي

إن عليا طار مع النسر نسر السماء[٦] ، وباغيه سبح مع الحوت حوت الماء[٧] ، حتى بلغا الغاية . ما نقمت منه العبشمية[٨] ، ولا نعت الطائفة الحكمية[٩] ؛ الى أن جدل الوليد بن عتبة[١٠]؛ ثم جلد الوليد بن عقبة[١١]. ذلك لنصره الكفر الذي تولى ، وهذا لمجه الخمر في سنن المصلى . «أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون»[١٢] غيث الجدوب وليث الحروب ، والطالع تشرق اسرته بين الشروق والغروب .

(يعـود من كـل فتـح غـير مفتخـر وقـد اغـذ اليـه غـير محتفـل)[١٣]

لم يكن في الخندق له من بد ان يناجز عمرو بن عبد ود[١٤]: سجيّة نفس نفيسة ، وحمية ضرغام لا يسلم خيسه[١٥]؛ فسله : كيف هوى به ، ثم عف كرما عن أثوابه[١٦]! .

(ان الاسـود أسـود الغيـل همتهـا يوم الكريهة في المسلوب لا السلْب)[١٧]

---

(١) البيت لأبي العتاهية انظر الديوان ص : ٣١١ .

(٢) الحصداء الدلاص : الدرع المحكمة اللينة الملساء ، ويعني بها الدرع التي أصدقها علي زوجه فاطمة الزهراء . انظر طبقات ابن سعد ٨/٢٠ ، الاستيعاب ٤/١٨٩٥ ، الاصابة ٨/١٥٧

(٣) البيت لأبي فراس من قصيدته الشهيرة في الفخر . انظر الديوان ص : ١٤

(٤) أي والده الكريم النجل النسل .

(٥) البيت للمتنبي ، انظر الديوان شرح البرقوقي ١/٦١ .

(٦) كناية عن شرف علي ومجده الأثيل .

(٧) كناية عن ضعة خصمه .

(٨) بني عبد شمس .

(٩) نسبة الى الحكم بن أبي العاص بن عبد شمس القرشي الأموي ، عم عثمان ، ووالد مروان : أسلم يوم الفتح وسكن المدينة ، ثم نفاه الرسول (ص) الى الطائف ، (ت ٣٢هـ) . ويروى أنه (ص) قال : «ويل لأمتي مما في صلب هذا» وقد كان أولاده وأحفاده البا علي علي . انظر الاستيعاب ١/٣٥٩ - ٣٦٠ ، الاصابة ٢/٢٨

(١٠) ابن ربيعة بن عبد شمس ، قتله علي يوم بدر . انظر سيرة ابن هشام ١/٦٧ - ١٠٢

(١١) ابن أبي معيط بن ذكوان بن عبد شمس جلده علي ايام عثمان (الاستيعاب ١/١٥٥٦) .

(١٢) الآية ١٨ سورة السجدة . رقم ٣٢.

(١٣) البيت للمتنبي ، انظر الديوان (شرح البرقوقي) ٣/٦١٣

(١٤) هو عمرو بن عبد ود العامري ، من بني لؤي من قريش ، فارسها وشجاعها في الجاهلية : ادرك الاسلام ولم يسلم ، عاش الى ان كانت وقعة الخندق ، فحضرها وقد تجاوز الثمانين فبارز عليا فقتله . انظر ابن الحديد نهج البلاغة ٣/٢٨٠

(١٥) الخيس موضع الاسد .

(١٦) انظر الروض الانف ٢/١٦٢ .

(١٧) البيت لابي تمام من قصيدته : «السيف اصدق انباء من الكتب» - أنظر الديوان ص ١٠ ، والغيل : مكان الاسد .

ظن أصحاب عمرو أنه الغالب ، حتى حضر منه الغائب ؛ فقالوا : قريع ؟ وعلموا أنه صريع[١] !

(لقد سلكت نهج السبيل الى الردى ظباء دنت من غابة الاسد الورد)[٢]

وفي خيبر[٣] دخلت شبهة على بعض الصحابة ، وهم - رضي الله عنهم - عصابة الاصابة : لما رأوا عليا رمدا[٤] ، وسمعوا : (لاعطين الراية غدا)[٥] ؛ فكلهم أصبح يرقبها ، ولولا مشروع التوقير لافصح يطلبها ؛ ألم يسمعوه يقول : (إبدأ بمن تعول)[٦] .

(ذكرتك والخطي يخطر بيننا)[٧] .

«فصل»

وقعة صفّين

جعلت مصاف صفين[٨] تمحيصا ، وأمر الله من ذا يجد عنه محيصا[٩] : فنهد[١٠] ابن[١١] هند[١٢] ، في أطوع جند ؛ لا يفرقون بين اليوم والامس ، ولا يعرفون وارثا للنبوءة الا عبد شمس[١٣] : «بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج»[١٤] ودلف علي ، وقياد جيشه[١٥] عصي : شيب وشبان ، كأنهم من الرهب رهبان : قد لبسوا المسروح ، وتعودوا الفتوح : منايا المنافقين والكفار ، وبقايا المهاجرين والانصار : (اذا رأوا ذكر الله)[١٦] ، وتعلم خوفه وتقواه : يحجمون ورعا ، لا جزعا : ويظهرون شفقا ، لا فرقا : «أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون»[١٧] ، ثم انجلت تلك الطوارق والنوائب ، وقد

(١) انظر الروض الانف ١٩١/٢

(٢) الاسد الورد الجرىء .

(٣) خيبر . موضع على ثمانية برد من المدينة في طريق الشام وهي مجموعة حصون ومزارع ونخيل ، كان يسكنها اليهود ، وفيها كانت غزاة النبي (ص) الشهيرة ، افتتحها سنة ٧ هـ . انظر معجم البلدان ٤٠٩/٢ ، الروض الانف ٢٣٥/٢ .

(٤) اي اصابه الرمد فعالجه الرسول (ص) فبرىء . انظر صحيح مسلم ١٧٨/١٥

(٥) يشير الى حديث (لاعطين الراية غدا ، رجلا يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار) . انظر البخاري ١٩٤/٢ ، ومسلم ٧٧/١٥ - ١٧٨ ، وسيرة ابن هشام ١٣٩/٢

(٦) حديث اخرجه الطبراني ، أنظر الجامع الصغير شرح المناوي ٧٥/١ .

(٧) قائله أبو العطاء السندي ، انظر الحماسة ، شرح المرزوقي ٥٦/١ .

(٨) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات ، واشتهر بالوقعة التي جرت بين علي ومعاوية سنة ٣٧هـ انظر ابن الاثير ٢٣٨/٣ ، والطبري ٧/٦ ، والمسعودي ٣٨٧/٢ .

(٩) اقتباس من قوله تعالى «ولا يجدون عنها محيصا» .

(١٠) نهد نهض

(١١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس (ت٦٠هـ) انظر ابن الاثير ٢/٤ ، الطبري ١٨٠/٦

(١٢) هند ، أم معاوية بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، اسلمت يوم الفتح ، (ت١٤هـ) . انظر طبقات ابن سعد ٢٣٥/٨ ، الاستيعاب ١٩٢٢/٤ ، الاصابة ٢٠٥/٨

(١٣) اي ابن عبد شمس ، يعني معاوية .

(١٤) الآية ١٥ سورة ق رقم ٥٠

(١٥) مشى كالمقيد ، يعني عن غير رغبة . انظر ابن الاثير ٤٢٦/٣ - ٢٥٦ ، الطبري ٦/٨ - ٢٠ ، المسعودي ٣٨٩/٢ - ٣٩٦ ، نهج البلاغة ١٤٠٣/٣ .

(١٦) يشير الى حديث أفضلكم الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى لرؤيتهم انظر الجامع الصغير ٢٥٠/١

(١٧) الآية ٢٢ سورة المجادلة رقم ٥٨

شابت منها المفارق والذوائب ؛ بيد أن بائدها سيد الاوصياء[١] ، بيد أشقى الاشقياء[٢] .

(وما نكبة فاتت به بعظيمة ولكنها من أمهات العظائم)[٣]

كان علي آخر الخلفاء ، ومعاوية أول الملوك[٤] ؛ شتان بين اثنين ، هذا موعد بتسلب الدنيا ، وهذا واعد[٥] ؛ وان جمعتهم الجنان ، ونزع من صدورهم الغل والشنآن[٦] ؛ فبين المنزلتين بون بانٍ في الكلمتين :

غري غيري[٧] ، ونحن الزمان[٨] (وما قلت الا بالذي علمت سعد)[٩]

«فصل»

سم الحسن كما سمّ الرسول (ص)

تالله ما غاية القبيح ، الا ما عومل به الحسن[١٠].

(أتته الخلافة منقادة اليه تجرر أذيالها)[١١]

فتخلى عنها وما تخلص[١٢]، بل انطوى ظله المديد وتقلص ، يا من عابه بما فعل[١٣]، لولا ذلك لبطل :

(ان ابني هذا سيد)[١٤].

---

(١) البائد : الهالك ، وسيد الاصياء يعني به عليا .

(٢) يشير الى حديث : (من أشقى الاولين ؟ قال : الذي عقر الناقة ، قال : صدقت ؛ قال : فمن أشقى الاخرين ؟ قال : الذي يضربك على هذا ، يعني يافوخك ، ويخضب هذه ، يعني لحيته) . أنظر مسند الامام أحمد ٢٦٣/٤ ، والنسائي في خصائصه ص٣٩ ، والطبري ٢٢٣/٧ ، ويعني به : ابن ملجم المرادي قاتل علي كرم الله وجهه ، في ١٧ رمضان ٤٠هـ . أنظر ابن الاثير حوادث ٤٠ والطبري ٨٣/٦ والمسعودي ٢/٢ ، والاستيعاب ١١٢٢/٣ .

(٣) البيت لابي تمام ، انظر الديوان : ٣٣٣ .

(٤) يشير الى حديث : (الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك ...) وهناك رواية أخرى للحديث أنظر الجامع الصغير ٢٥٧/٢ ، مقدمة ابن خلدون ٦٦٤ وانظر عن الفرق بين الخلافة والملك طبقات ابن سعد ٣٠٦/٣ .

(٥) أي يعدك بالخير .

(٦) يشير الى قوله تعالى : «ونزعنا ما في صدورهم من غل ، اخوانا على سرر متقابلين» .

(٧) يروي عن علي أنه قال : (يا دنيا غري غيري ، إليَّ تعرضت ، أم إليَّ تشرفت ؟ هيهات ، لاحان حينك ؛ قد ابنتك ثلاثا ، لا رجعة لي فيك ؛ عمرك قصير ، وعيشك حقير ...) . انظر نهج البلاغة ١٦٦/٣ ـ ١٦٧ ، المسعودي ٤٣٣/٢ .

(٨) من كلام معاوية : «نحن الزمان ، من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع» انظر تهذيب الايضاح لعز الدين التنوخي ٤٠١/٣ح١٤ .

(٩) البيت للحطيئة : انظر الديوان .

(١٠) أبو محمد الحسن بن علي بن ابي طالب ، خامس الخلفاء الراشدين ، في رأي بعض من أول حديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ...» بايعه أهل العراق سنة ٤٠هـ ، ولكنه سلم الامر لمعاوية ، حقنا لدماء المسلمين . (ت٥٠هـ) مسموما . انظر البخاري ١٩٨/٢ ، ومسلم ١٩١/١٥ ، ابن الاثير ٣٣٩/٣ ، الطبري ٩١/٦ ، الاستيعاب ٣٨٣/١ ، الاصابة ١١/٢ ـ ١٣ .

(١١) البيت لابي العتاهية . انظر الديوان ص٣١١ .

(١٢) يشير الى أن الحسين توفي مسموما ، انظر المسعودي ٥/٣ الاستيعاب ٣٨٩/١ .

(١٣) قيل ان ممن لامه أخوه الحسين ، وكان بعض أصحابه يقول له : يا عار المؤمنين فيقول : (العار ، خير من النار) . انظر ابن الاثير ٣٤١/٣ ، الطبري ٩٢/٦ ، الاصابة ١٢/٢ .

(١٤) هذا طرف حديث اخرجه البخاري بلفظ : ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين) . أنظر البخاري شرح السدى ١٩٨/٢ .

تعز فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت الرسول وقتل الوصي وقتل الحسين وسم الحسن[١] .

لما نزلت «والله يعصمك من الناس»[٢] سارت سورة سم الذراع[٣] . تجمع بين التسليم والوداع ، ناكصة على العقب . «تكاد تميز من الغيظ»[٤] خائفة أن تعيرها يهود ، كونها ليست لها نهود ، وما كان محل النبوءة لتحله الاسواء ، ولا لتحول بأيدي البشر تلك الاضواء ؛ «يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره»[٥] فعندما قبلت بنت الاشعث[٦] ، ما بعث لها من السم من بعث ؛ عادت تلك السورة الكامنة فعدت ، وأنجزت في الابن الكريم ما وعدت[٧] ؛

(الا ان في ظفر المنية مهجة تظل لها عين العلى وهي تدمع)[٨]

سما الحسن باعراضه عمن سمه[٩] ، وما صرف لاعتراضه همه ، علما بان أباه الاكبر ما زالت تعاده أكلة خيبر[١٠] ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده .

يا جعدة[١١] أودى بك الملك الجعد[١٢]، وأبدى لك عن خلفه الوعد[١٣]؛ «لله الامر من قبل ومن بعد»[١٤]. (لا ماءك أبقيت ، ولا درنك أنقيت)[١٥]، فهلا خفت العاقبة واتقيت .

(لا يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه)[١٦]

يا لها وقيعة نكراء ، وفجيعة أبكت الخضراء والغبراء !

لئن هي أهدت للاقارب ترحة لقد جللت تربا خدود الاباعد
فما جانب الدنيا بسهل ولا الضحى بطلق ولا ماء الحياة ببارد[١٧]

---

(١) البيتان لشاعر شيعي ، أنظر ابن الاثير ٢/٤٠ ، العبر ٤/١٦ .
(٢) الآية ٦٧ سورة المائدة رقم ٥ .
(٣) أنظر حديث الذراع المسمومة في فتح البارى غزوة خيبر ٩/٣٩ .
(٤) الآية ٨ سورة الملك . رقم ٦٧ .
(٥) الآية ٨ سورة الصف . رقم ٦١ .
(٦) هي جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي ، زوج الحسن ، وقد تآمرت على الحسن بايعاز من معاوية كما قيل . أنظر الاستيعاب ١/٣٨٩ ـ ٣٩٠ ، الاصابة ٢/١٣ ، وقد فند ابن خلدون هذه الرواية ، انظر العبر ٢/١١٣٩ .
(٧) يعني الحسن الذي توفي مسموما .
(٨) البيت لابي تمام من قصيدة يرثي بها ادريس بن بدر السامي ، انظر الديوان ٣٢٤ .
(٩) سأله اخوه الحسين عمن سمه ؟ فقال له : ماسؤالك عن هذا ؟ أتريد أن تقاتلهم ؟ اكلهم الى الله انظر الاستيعاب ١/٣٩٠ وابن الاثير ٢/٤٠ .
(١٠) انظر طبقات ابن يعد ٢/٢٠٣ والروض الانف ٢/٢٤٣ .
(١١) يعني بها جعدة بنت الاشعث ، زوجة الحسن السالفة الذكر .
(١٢) الجعد : البخيل ويعني به معاوية .
(١٣) يريد أنه لم يف لها بما وعدها به من أنه سيتزوجها وقال لها : (انا لم نرضك للحسن افنرضاك نفسنا) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٩٢ .
(١٤) الآية ٤ الروم رقم ٣٠ .
(١٥) انظر مجمع الامثال ٢/٢١٧ .
(١٦) البيت لصالح بن عبد القدوس ، انظر نهاية الارب ٣/٨٢ .
(١٧) البيتان لابي تمام ، انظر الديوان ص٣١٧ .

«فصل»

فضائل السبطين وعداء بني امية

اقتسم السبطان ، على رغم انف الشيطان ، خلق جدهما النبي[١] ، وخلق ابيهما الوصي ؛ فردي اكبرهما بما أذي به الاكبر[٢] ، ولقي اصغرهما[٣] الموت الاحمر[٤] !

(وانا لقوم لا نرى الموت سبة اذا ما راته عامر وسلول)[٥]

تبع الاول في ذلك الآخر ، وخاضا بحر الهول وهو زاخر !

(كانت مآتم بالعراق تعدها أموية بالشام من اعيادها)[٦]

فكيف تؤسى الكلام ، او يتأسى الاسلام ؟!

(وعلى الدهر من دماء الشهيدين ، علي ونجله شاهدان[٧]
فهما في أواخر الليل فجرا ن وفي اولياته شفقان
ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعديا إلى الرحمن)[٨]

ألب على الرسول أبو سفيان[٩] ولاكت كبد حمزة هند[١٠]، ونازع حق علي معاوية ، واحتز هامة الحسين يزيد[١١].

لقد علقوها بالنبي خصومة الى الله تغنى عن يمين وشاهد[١٢].

«فصل»

الحسين ويزيد

الآجلة مدفوعة ، والعاجلة متبوعة ، والانفس على حبها مطبوعة[١٣]، فاتباع تلك ضعفة أمناء ،

---

(١) انظر البخاري ٢/١٩٨ ، الاصابة ٢/١٥ ، وتهذيب الاسماء ١/١٦٣ .

(٢) يعني ان الحسن الذي يكبر الحسين مات بالسم الذي أوذى به جده الاكبر محمد (ص) .

(٣) يعني الحسن .

(٤) الموت الاحمر : الشديد ، وهو القتل بالسيف .

(٥) البيت للسموأل ، انظر ديوان الحماسة لابي تمام ١/٢٩ .

(٦) البيت للشريف الرضي من قصيدة يرثى بها جده الحسين في عاشوراء سنة ٣٩١ ، انظر الديوان .

(٧) الابيات لابي العلاء المعري ، انظر الديوان ١٢٦ ط دار صادر .

(٨) أي مستنصرا به لينصفه من قاتله ، ويشير الى حديث (يجيء المقتول متعلقا بالقاتل تشخب اوداجه دما ، فيقول : أي رب سل هذا فيم قتلني ؟) رواه النسائي .

(٩) هو صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، والد معاوية ، كان من رؤساء المشركين في حرب الاسلام عند ظهوره ، قاد قريشا وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال الرسول (ص) وأسلم يوم الفتح ، (ت٣١) ، انظر الاستيعاب ٢/٧١٤ ، الاصابة ٣/٢٢٧ ـ ٢٢٨

(١٠) زوجة أبي سفيان وأم معاوية ، لاكت كبد حمزة عم النبي (ص) في غزوة أحد ، انظر سيرة ابن هشام الروض الانف ٢/١٩٣

(١١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني ملوك الامويين ولى سنة (٦٠هـ) (ت٦٤هـ) ، انظر الطبري حوادث ٦٤ ، وابن الاثير ٤/٤٩ ، المسعودي ٣/٧٥ .

(١٢) البيت للشريف الرضى من قصيدة قالها في عاشوراء سنة ٣٩٥ ، انظر الديوان .

(١٣) الآجلة : الآخرة مدفوعة : يدفعها الناس ولا يريدونها ، والعاجلة : الدنيا : متبوعة : يتبعها الناس ويتهافتون عليها «كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة» .

واتباع هذه خونة أقوياء : (أشكو الى الله ضعف الامين وخيانة القوي[١] قعد بالحسين حقه ، وقام بيزيد باطله ، واخلافاه ! فاذا حضر موقف القضاء الخصمان ، وعنت الوجوه للرحمن[٢] . «جاء الحق وزهق الباطل»[٣] ان الامة لم تكن للئيم ما تحت العمامة[٤] ، من سبط[٥] هند وابنها دون البتول ولا كرامة[٦] ؛ يسر ابن فاطمة[٧] للدين يسميه ، وابن ميسون[٨] للدنيا تستهويه ؛ (اعلموا فكلّ ميسر لما خلق له)[٩] ، فأما هذا فتحرج وتأثم ، واما ذاك فتلجلج وتلعثم ؛ مشى الواحد[١٠] الى نور يسعى بين يديه[١١] ، وعشا الثاني الى ضوء نار لا يعرف ما لديه[١٢]، يا ويح من وازى الكتاب قفاه ، والدنيا امامه[١٣]! كانت بنو حرب فراعنة الشام[١٤]، فذهب ابن بنت الرسول ليخرجهم من العراق فانعكس المروم ، وحورب ولا فارس والروم[١٥]:

كأن لم يرج في دنيا وأخرة ولم يخف
ولم يهلل بتلبية ولم ينسك ولم يطف[١٦]

كوتب من الكوفة[١٧]، وقد سار الى مكة[١٨]يجنح الى النفر الحائف[١٩]، ويحتج بما أتاه من الصحائف[٢٠]، فقال له ابن عمر استودعك الله من قتيل[٢١]، فقضى أن غيل منه ليث غيل[٢٢].

هي فرقة من صاحب لك ماجد فغدا اذابة كل دمع جامد

«فصل»

مسلم بن عقيل

(١) من كلام عمر بن الخطاب ، زهر الآداب ١/٤١ ونهاية الارب ٣/٥ ، وانظر مجمع الامثال ٢/٤٥٢ .
(٢) يشير الى قوله تعالى «وعنت الوجه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما» .
(٣) الآية ٨١ الاسراء رقم ١٧
(٤) اقتبسه من قول الاخطل يهجو الانصار : «واللؤم تحت عمائم الانصار» .
(٥) أي يزيد .
(٦) أي لا عزازة وشرف .
(٧) يعني الحسين بن فاطمة .
(٨) ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبي أم يزيد ، انظر الطبري ٦/١٨٣ .
(٩) جديث أخرجه الطبراني وغيره ، انظر الجامع الصغير ١/٢٣٢ .
(١٠) الواحد يعني الاول : الحسين بن علي .
(١١) يشير الى قوله تعالى : «يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم» . الآية ٨ سورة التحريم رقم ٦٦ .
(١٢) يشير الى الآية ١٣ من السورة السابقة ، وهي تتناول الفريق الثاني في مقابل الفريق الاول .
(١٣) يشير الى قوله تعالى : «وأما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا» .
(١٤) أي مستبدين طغاة غير خلفاء .
(١٥) لعل المعنى وجورب من غير فارس والروم أو حورب بأشد مما يحارب به الكفار .
(١٦) أي لم يراعوا فيه نسكهُ وتقواه ، ولا قربه من رسول الله ..!
(١٧) الكوفة : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، اختطها سعد بن أبي وقاص أيام عمر بن الخطاب . انظر معجم البلدان ٤/٤٩٠ ـ ٤٩٣ .
(١٨) مكة ، بيت الله الحرام ، بينها وبين الكوفة ثلاث مراحل . انظر المرجع السابق ٥/١٨١ ـ ١٨٧ .
(١٩) الحائف : الحائل عن الحق .
(٢٠) يشير الى مكاتبات أهل العراق للحسين ، انظر الطبري ٦/٢٤١ ـ ٢٤٦ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٧ .
(٢١) انظر ابن الاثير ٤/١٤ ـ ٣١ ، والطبري ٦/٢١٦ .
(٢٢) غيل الاول من الاغتيال والخديعة ، وغيل الثاني موضع الاسد ؛ أي خودع منه ليث ، وهو تجريد ، من المحسنات البديعية .

قدم مسلم بن عقيل[١] ، فأسلم لعبيد الله بن زياد[٢] ، والدنيا الا على الفناة صعبة الانقياد :

تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل[٣]

جيء به يقاد اليه ، وقد خذلته الشيعة الملتفة عليه ؛ بعد ما أبلى في القتال عذراً[٤] ، وارتجز لا يستشعر ذعرا :

أقسمت لا أقتل الا حراً أخاف ان أكذب أو أغرا[٥]

فغر كما خاف وكذب ، ثم جر الى مصرعه وسحب[٦] :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[٧]

وثنى بابن عروة هانيء[٨] ، وما لشانيهما الكريمين من شانيء ؛ فعفرت لمته ، وأخفرت ذمته ؛ وهو الذي رجح اجارته[٩] . فهنيئاً له ما أربح تجارته !

ان كنت لا تدرين ما الموت فانظري الى هانيء في السوق وابن عقيل
تري جسدا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل[١٠]

«فصل»

عبيد الله بن زياد

وكان سرجون[١١] أشار على يزيد بتقديم عبيد[١٢] الله ، وهو اذ ذاك عنه شاحط[١٣] ، وعليه فيما ذكر

---

(١) هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن هاشم ، ابن عم الحسين ، ندبه ليتعرف على حال الكوفة ، فقتل بها سنة ٦٠هـ . انظر ابن الاثير ١٦/٤ ـ ٣٠ ، الطبري ١٩٤/٦ ـ ٢١٤ ، المسعودي ٦٤/٣ ـ ٧٥ ، والاخبار الطوال ص ٢٤٤ ، العقد الفريد ١٤/٣ .

(٢) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ولاه معاوية عدة مهمات ، ثم تولى أخيرا امارة البصرة : ولما بويع يزيد أقره عليها وضم له الكوفة ، وهو الذي خرج لمحاربة الحسين .. (ت٦٧) . انظر ابن الاثير ١٨/٤ ـ ١٩ ، الطبري ١٦٤/٦ ، المسعودي ١/٨ ، الاخبار الطوال ٢٨٥ ، العقد الفريد ١٤٠/٣ ـ ١٤٠

(٣) البيت للمتنبي ، انظر الديوان شرح البرقوقي ١٩٠/٢ .

(٤) انظر ابن الاثير ٢٤/٤ ـ ٢٦ ، الطبري ١٩٦/٦ ، ٢١٠ ، والعقد الفريد ١٣٩/٣ ، المسعودي ٦٨/٣ .

(٥) أورد المؤلف الشطر الاول والأخير من الابيات التي ارتجزها ابو مسلم ، وقد جاءت كاملة عند ابن الاثير والطبري هكذا :

اقسمت لا اقتل الا حراً وان رأيت الموت شيئاً نكرا
كل امرىء يوما ملاق شرا ويخلط البارد سخنا مرا
.... أخاف أن اكذب أو أغرا

انظر الطبري ٢١٠/٦ ، المسعودي ٦٨/٣ .

(٦) انظر ابن الاثير ٢٧/٣ ، الطبري ٢١٣/٦ .

(٧) البيت للمتنبي ، انظر الديوان ٤٦٥/٤ .

(٨) هو هانيء بن عروة المرادي ، أحد سادات الكوفة وأشرافها ، آوى اليه مسلم بن عقيل عند ما أراد ابن زياد قتله ، وأبى تسليمه ، فقاتل حتى قتل سنة ٦٠ هـ . انظر ابن الاثير ١٠/٤ ـ ١٥ ، والطبري ٢١٤/٦ ، والعقد ١٩٣/٣ ـ ١٤٦ ، ٢١٤/٦ .

(٩) انظر الطبري ١٩٥/٦ ، العقد ١٣٩/٣ .

(١٠) البيتان لعبد الله بن الزبير وقيل للفرزدق ، انظر الطبري ٢١٤/٦ ، وابن الاثير ٣٠/٤ ، مقاتل الطالبيين ١٠٨ ، نسبة في اللسان لسليم ابن سلام الحنفي ، وسماه في الاخبار الطوال عبد الرحمن بن الزبير انظر ص ٢٥٥ .

(١١) سرجون من موالى معاوية استشاره يزيد فيمن يوليه الكوفة ويقضي على حركة الحسين ، فأشار عليه بابن زياد . انظر ابن الاثير ١٧/٣ ، الطبري ١٦٤/٦ .

(١٢) يعني ابن زياد .

(١٣) شحط : بعد .

ساخط[١] ؛ فكتب اليه برضاه ، وجمع له ادنى العراق واقصاه : فاعفى الركائب من مهلها ، «ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها[٢]» لا يمر بمجلس من مجالس القوم مسلماً ، وقد قدم من البصرة[٣] متلثماً ، الا قالوا وعليك السلام ، يا ابن بنت رسول الله ، يحسبون انه الحسين[٤] ، وهيهات لا يشبه الشبه اللجين[٥] !

عاشت سمية ما عاشت وما علمت ان ابنها من قريش في الجماهير[٦]

وقبل قتل مسلم ، حرص على ملمع[٧] بخبره معلم ، فأسر الى ابن سعد بن أبي وقاص[٨] ، مقدم الحسين في الخيول والقلاص[٩] ؛ رجاء ان يرجع ادراجه ، ويدفع الى موبقه استدراجه ؛ فباح لعبيدالله[١٠] ؛ بذلك ، وارتاح لا شعاره بما هنالك ؛ وقد أمره بالكتمان ، وحذره خون الائتمان[١١] ، فمن اجلها أخرجه لقتاله ، وجهزه في اربعة آلاف من رجاله[١٢] .

«فصل»

مضايقة الحسين

يا هذا ، تناس الناس ما عدا ، وليا ما عدا[١٣]؛ «وقليل ما هم»[١٤].

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فأن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب[١٥]

ثم كن بالقرابة شديد الاسترابة ؛ فالمدخر الشفيق ، لا الشقيق : والمعتبر الوداد ، لا الولاد :

---

(١) انظر الطبري ٦/١٧ .
(٢) الآية ١٥ القصص رقم ٢٨
(٣) البصرة ، ويقال لها البصرة العظمى فرقا بينها وبين بصرة المغرب ، وهي مصر قرب دجلة والفرات كان تمصيرها أيام عمر بن الخطاب كالكوفة ، انظر معجم البلدان ١/٤٣٠ - ٤٤٠ .
(٤) انظر ابن الاثير ٤/١٨ والطبري ٤/٢٩٤ ، المسعودي ٣/٦٦ ، الاخبار الطوال ٢٤٦
(٥) الشبه : النحاس الاصفر ، واللجين : الفضة .
(٦) هذا البيت من أبيات في هجاء زياد - وقد قال :
ما هجيت ببيت قط أشد على من قول الشاعر :
عاشت سمية ما عاشت الخ ...
انظر العقد الفريد ٣/٢٣٤ ، ونهاية الارب ٣/٢٧٩ .
(٧) الملمع بالخبر : ذهب .
(٨) هو عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ولاه عبيد الله بن زياد الري ، ولما علم بمقدم الحسين سيره وأمره بمحاربته (ت. ٦٦هـ) ، انظر طبقات ابن سعيد ٥/١٦٨ ، والطبري ٦/٢٢٠ والمسعودي ٣/٧٠ ، والاخبار الطوال ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٩) القلاص جمع قلوص : الجيد من الابل .
(١٠) يعني ابن زياد .
(١١) انظر الطبري ٦/٢١٣ ، وابن الاثير ٤/٢٨ .
(١٢) انظر الطبري ٦/٢٣٢ ، وابن الاثير ٤/٤٤ .
(١٣) عدا الاول : حرف استثناء ، وعدا الثانية بمعنى اعتدى وظلم ، والولي ضد العدو .
(١٤) الآية ٢٤ ص رقم ٣٨
(١٥) البيتان لابن الرومي ، انظر الديوان ، ونهاية الارب ٣/٩٩ .

(فان القريب من يقرب نفسه لعمر أبيك الخير لا من تنسبا)[١]

هذا ابن الرسول[٢] قتله ابن خاله[٣]، وحال في حفظ العهد عن حاله ؛ (فلله أرحام هناك تشقق)[٤] خلافاً لمن توجع واسترجع ، وكان قد حبس به وجعجع[٥] ؛ فانقلب اليه صائراً ، حتى قتل معه صابراً ؛ هو الحر[٦] كما سمته أمه ، فلله أبوه[٧] ! لقديسر لليسرى[٨] ، وكان بذلك دون الاحرار احرى :

(فبالامس كان يقود محارباً ألفاً واليوم يعود مسالماً إلفاً)[٩]
(اذا أنت اعطيت السعادة لم تبل وان نظرت شزرا اليك القبائل)[١٠]

واوفى السبط في خيل ، عربت نواصيها من الخير[١١]، وذؤبان عربان ، كأن اسنتهم المقابيس[١٢] والرايات اجنحة الطير[١٣]؛ وقد لجأ الى ذي حسم[١٤]متحصناً ، وضرب هناك اخبيته متبيناً ؛ فما عجل بمحاربة ، ولا بعد عن مقاربة ؛ وابن زياد قد امده بفريقه[١٥].

واعده لا شراقه[١٦]؛ وقال لشيطانه[١٧] : قم اليه فاحبس به الركب ، او جعجع[١٨]؛ الى ان هب من نومه ، وعاد باللائمة على قومه ؛ داعياً لأمهم بالهبل والعبر[١٩]، وقائلاً : ادعوتموه ، حتى اذا أتاكم أسلمتموه[٢٠]؟ ! «انها لا حدى الكبَر»[٢١]. وهو من تلك الالاف والمئين ، أوتي وحده اليقين ،

---

(١) الخير صفة لأب .
(٢) يعني الحسين .
(٣) أراد به عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وكان والده من أخوال رسول الله (ص) . انظر طبقات ابن سعد ١٧٣/٣
(٤) عجز بيت من قصيدة قتيلة بنت النضر بن الحارث الذي قتله رسول الله (ص) ، ترثى أباها وتعتب على الرسول قتله اياه وصدره : (ظلت سيوف بني أبيه تنوشه) . انظر العمدة لابن رشيق ٥٦/١ .
(٥) جعجع به : حبسه وضايق عليه .
(٦) يعني به الحر بن يزيد التميم اليربوعي ، قائد من أشراف تميم ، أرسله الحصين بن نمير التميمي في ألف فارس من القادسية لاعتراض الحسين في قصده الكوفة ، فانضم الى الحسين وقاتل بين يديه حتى قتل سنة ٦١ هـ . انظر ابن الاثير ٣٤/٤ - ٣٩ ، الطبري ٢٢٧/٦ ، المسعودي ٧٠/٣ .
(٧) انظر الطبري ٤٤/٦
(٨) يشير الى قوله تعالى : «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى» .
(٩) ألف الاول عدد ، والثاني من المؤالفه .
(١٠) البيت للمعري ، انظر الديوان ١٩٦ .
(١١) اشارة الى حديث : (الخيل في نواصيها الخير) .
(١٢) المقابيس : جمع مقباس ما قبست به النار ، تشبه بها الأسنة في لمعانها ، وعند الطبري كأن أسنتها المقابيس .
(١٣) حاذى عبارة الطبري ، انظر ٢٢٧/٦ .
(١٤) موضع نزل به الحسين في طريقة للكوفة وفيه التقي معه الحر التميمي ، انظر معجم البلدان ٢٥٨/٢ ، والطبري ٢٢٧/٦ .
(١٥) الفريق طائفة من الجيش اكثر من الفرقة .
(١٦) اشرقه بريقه : جعله يغص به ، أراد بذلك ما ناله من مضايقة ، حتى كانه شيء لم يقدر على اساغته وابتلاعه فغص به .
(١٧) الشيطان كل عات متمرد من انس وجن ، ويعني به الحر بن يزيد عندما كان في ركاب ابن زياد .
(١٨) وقد كتب اليه يقول : أما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويبلغك رسولي . انظر ابن الاثير ٤٣/٤ ، والطبري ٢٣٢/٦ .
(١٩) الهبل : الثكل ، والعبر : البكاء بالحزن ، ولامّهِ الهبل والعبر : الثكل والبكاء والحزن . انظر نص كلمة الحر في ابن الاثير ٥٥/٤ ، والطبري ٤٤٥/٦ .
(٢٠) انظر ابن الاثير ٥٥/٤ ، والعقد ٤/٤ .
(٢١) الآية ٣٥ المدثر رقم ٧٤ .

وأحرز عاقبة المتقين . ما أكثر الشجر ، وليس كلها بمثمر ! باء[١] عمر بن سعد[٢] بالخسر العميم ، وآب الحر بن يزيد بالفوز العظيم ؛ «فريق في الجنة ، وفريق في السعير»[٣] ؛ غني بحطام هذه الدار ، فشد ما فني بسيف المختار[٤] ، «وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور»[٥] .

«فصل»

الحسين يهمُّ بالانصراف

هم الحسين بالانصراف[٦] ، لما أتاه قتل مسلم بشراف[٧] ، وليت ذلك حم[٨] ، فلم تغم[٩] الواقعة وتعم ؛ لكن أبى أخوته أو يصيبوا[١٠] بثأرهم ، فما وسعه غير ايثارهم واقتفاء آثارهم[١١] . «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»[١٢] . ثم نزل كربلاء[١٣] ، زاجراً منها الكرب والبلاء ؛ فصدق ذلك ما آلتْ اليه الحال ، وأن عليه من الدنيا الترحال :

(واذا أتاك من الأمور مقدر ففرت منه فنحوه تتوجه)[١٤]

هنالك دفع الى الاحداث تلتقمه ملء فيها ، ومنع من الثلاث التي خير هو فيها[١٥] :

(وسائل لا تجدى لديهم كأنها مسائل من علم على جاهل تلقى)
(فقام لتوديع الحياة يريغه[١٦] وعام الى ورد الردى يستسغيه)
(نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا)[١٧]

يا عجباً ، لم يمكن من قيادة الاجل ، حتى طلع في حياده الاجل :

---

(١) باء : آب وكلاهما بمعنى رجع .
(٢) ابن أبي وقاص .
(٣) الآية ٤٢ الشورى رقم ٤٢ .
(٤) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي من الزعماء الثائرين على بني أمية انحرف عن ابن زياد عند مقتل الحسين وبعد موت يزيد ، تتبع قتلة الحسين ، ومنهم عمر بن سعد بن أبي وقاص . انظر ابن الاثير ٤/٨٢ ـ ١٠٨ والاخبار الطوال ٢٨٢ ـ ٣٠٠ .
(٥) الآية ١٨٥ آل عمران رقم ٢ .
(٦) انظر الطبري ٦/٢٢٠ ، والعقد ٣/١٤٠
(٧) شراف : موضع نزل به الحسين في طريقه الى الكوفة .
(٨) حم الأمر : قضى .
(٩) تغم : تحزن .
(١٠) أو يصيبوا : أي الا ان يصيبوا ثأرهم في عدوهم .
(١١) انظر ابن الاثير ٤/٣٥ والعقد ٣/١٤٠
(١٢) الآية ٢٤ الانفال رقم ٨ .
(١٣) الموضع الذي قتل فيه الحسين ، في طرف البرية عند الكوفة ، انظر معجم البلدان ٤/٤٤٥ ، والعقد ٣/١٤١ ، والمسعودي ٣/٧٠ .
(١٤) البيت لابن الرومي . انظر الديوان ، ونهاية الارب ٣/٩٩ .
(١٥) قال لهم : «اختاروا مني واحدة من ثلاث اما أن أرجع الى المكان الذي أتيت منه ، واما أن اضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه ؛ واما أن تسيروا بي الى ثغر من ثغور المسلمين» . انظر ابن الاثير ٤/٤٦
(١٦) أراغه : طلبه .
(١٧) عجز بيت لامرىء القيس وصدره :
«فقلت له لاتبك عينك انما» من قصيدة يستنجد بها قيصر على بني أسد انظر الديوان ٩٥ .

(ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والغرب)[١]

جلي عن الماء[٢] كأنه كبد السماء[٣]، فعب في الغروب الدلق، والاسنة الزرق[٤] (ليس الكريم على القنا بمحرم)[٥].

«فصل»

إباء الحسين النزول على حكم عبيد الله بن زياد

وكم رجا ابن مرجانة[٦]، أن يجرعه المهانة، (وتلك التي تستك منها المسامع)[٧] فقال ابن الطاهرة[٨]: أأنزل على حكم ابن الزانية[٩]، متى سلفت اولى، فتخلف بثانية؟ في مسلم وهانيء[١٠] زاجر، فأنَّى يؤمن برا فاجر؟! أي عبد[١١] آل صخر أبي سيد ولد آدم ولا فخر)[١٢]. أمني تروم الدنية، كأني أهاب المنية[١٣]؟!

(أكر على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها)[١٤]

جاء عنه أنه خطب في ذلك الخطب الجليل، وزهد في عيش كالمرعى الوبيل[١٥] وقال لا اعطيهم بيدي اعطاء الذليل[١٦]:

(سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاء الله ما كان جالبا)[١٧]

ليرغب المؤمن في لقاء الله، يحمد معاده، فإني لا أرى الموت الا سعادة[١٨] «وعجلت اليك رب لترضى»[١٩] هون قدر الدنيا وصروفها وبين اقبال منكرها وادبار معروفها؛ ونادى فأسمع، وقد عزم

---

(١) الورد: سقي الماء، والغرب بالتحريك: ما ينصب من الدلاء من لدن رأس البئر الى الحوض: كناية عن قصر الوقت.

(٢) انظر ابن الاثير ٤/٥٦.

(٣) قال له ابن ابي حصين الازدي: يا حسين تنظر الى الماء كأنه كبد السماء. الطبري ٦/٢٣٦.

(٤) العب: شرب الماء بغير حصر وبدون تنفس، والغروب جمع غرب: حد السيف، والدلق جمع دلوق السيف السلس.

(٥) عجز بيت من معلقة عنترة وصدره:
(فشككت بالرمح الاصم ثيابه). انظر الديوان ص ١٥٠.

(٦) يعنى به ابن زياد، انظر ابن الاثير ٤/٧٤ - ٧٥ - ٢١٩.

(٧) البيت للنابغة الذبياني. انظر الديوان.

(٨) يعنى الحسين.

(٩) يريد ابن زياد، وفي العقد (أنا انزل على حكم ابن مرجانة، والله لاأفعل ذلك أبدا). انظر الطبري ٣/١٤٠، وابن الاثير ٧/٢٠ - ٢١.

(١٠) يعنى مسلم بن عقيل، وهانيء بن عروة.

(١١) يريد عبيد الله بن زياد.

(١٢) يشير الى حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر» رواه أحمد والترمذي، انظر الجامع الصغير ٢/٦٢.

(١٣) انظر ابن الاثير ٥/٤٠ - ٤١.

(١٤) في بعض الروايات: أشد، بدل «أكر»، والبيت لعباس بن مرداس، أنظر عيون الاخبار ٢/١٩٤.

(١٥) المرعى الوبيل: الوخيم أي يخاف وباله وسوء عاقبته.

(١٦) انظر ابن الاثير ٤/٥٣.

(١٧) البيت لسعد بن ناشب. انظر الحماسة لأبي تمام ١/١٥.

(١٨) من خطبة الحسين، انظر نصها كاملا في العقد ٣/١٤١.

(١٩) الآية ٨٤ طه رقم ٢٠، وكانت شعار الخوارج في حروبهم.

طلاقها وأزمع ؛ (ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه)[١] :

(الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم)[٢]

«فصل»

اختبار الحسين لاصحابه

أحب السبط ـ لما اعضل[٣] الداء ، وكثر اولياءه الاعداء ـ ان يجلو الخفية والخبية[٤] ، ويبلو ما عند فئة فيها بلية[٥] ؛ والكريم لا يوالس ولا يدالس[٦] ، فجمعهم وهم أزيد من سبعين رجالة ، وفوارس[٧] ؛ ثم أذن لهم في الانطلاق ، وقد عدم التنفيس في الخناق ؛ وقال : بني عقيل ، حسبكم لمسلم عملا ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا[٨] ؛ فأبوا الانيل المرام ، أو موت الكرام ، ورأوا ان العيش بعده عين الحرام . اذا ما أعضل الامر ، دفعنا الشر بالشر[٩] ، وما للحر منجاة كمثل السيف والصبر ؛ كان من جوابهم إذ رخص في ذهابهم : لم نفعل لنبقى بعدك ، لا والله ، حتى نرد ورودك :

(ان كان بعدكم في العيش لي ارب فلا قضيت اذاً من حبكم أربا)

بوركوا أشرافا ، نصعوا أوصافا ، واوسعوا سيدهم إنصافا :

(أحيوا فرادى ولكنهم على صحبة البين ماتوا جميعا)

عصبوا بأمره أمورهم[١٠] ، وبذلوا دون نحره نحورهم[١١] ، مستحلين مر الحمام ، ومستولين على غاية الكمال والتمام .

(عيني ابكي بعبرة وعويل واندبي اذ ندبت آل الرسول)
(ستة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وخمسة لعقيل)[١٢]

«فصل»

مقتل الحسين عاشر المحرم

(١) هذه فقرات من خطبة الحسين حيث يقول : «ان الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وادبر معروفها واشمأزت ، فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل» . انظر العقد ٣/١٤١ والطبري ٦/٢٢٩ .

(٢) نسبه ابن بدرون في شرحه على قصيدة ابن عبدون ـ الى يحيى البرمكي ، انظر ص٢٣٨ ، وثبت في ديوان ابي العتاهية من قصيدة له في البغي والظلم . انظر ص ٢٤٦ .

(٣) اعضل : استعصى .

(٤) الخفية والخبية : ماهو خبيء ومستور ، والمعنى أن يعرف ما في نفوسهم :

(٥) البلية : المصيبة والاختبار .

(٦) يوالس ولا يدالس : لا يظلم ولا يخون .

(٧) في العقد «وهم تسعون انسانا» . انظر ٣/١٤٠ ، وابن الاثير ٤/٥٠ ، والطبري ٦/٢٤/٢٦٤ ، والمسعودي ٣/٤١ .

(٨) هذا مثل يضرب لمن يعمل عمله بالليل . انظر مجمع الامثال ١/١٣٥ ، واللسان ١٣/١٣١ .

(٩) اقتبسه من قول الشاعر :

(وفي الشر نجاة حين لاينجيك احسان)

(١٠) عصبوا أمرهم بأمره : ربطوه به ، والتفوا حوله .

(١١) انظر ابن الاثير ٤/٥٧ ـ ٦٠ ، والطبري ٦/٢٤٦ ـ ٢٥٢ ـ ٢٤٥ .

(١٢) البيتان لمسلم بن قتيبة مولى بني هاشم من قصيدة يرثي بها قتلى كربلاء . انظر المسعودي ٣/٧٢ ؛ وفي العقد ان البيتين ابنت عقيل بن ابي طالب ٣/١٤٢ .

عاشر المحرّم[١] أُبيحت الحرمات ، وافيضت على النور الظلمات فتفاقم الحادث ، وحمل على الطيبين الاخابث ؛ وضرب السبط على عاتقه ويسراه ، وما أجرأ من أسال دمه وأجراه[٢] ! ثم قتل بعقب ذلك ذبحا[٣] ، يبكي حتى العاديات ضبحا[٤] . أجزاء حائلة الحلى[٥] ، وأشلاء كرمن على البلى[٦] . ومال الغواة على المتاع والثياب ، ونازعوا النساء ما عليهن في النهاب[٧] ، الى خدود خدوها ، وقدود قدودها ، ومحارم استحلوها وانتهكوها ، وأكارم ابقوا جثثهم وتركوها[٨] . (جزرا لخامعة ونسر قشعم)[٩] فيالله من أيد عادية ، وانفس مصادية[١٠] ، فصلت بالخسران خزايا ، وحملت كرائم اظعان سبايا[١١]

(فما في حريم بعدها من تحرج ولاهتك ستر بعدها بمحرم)

باب الندبة[١٢] هنا يحسن ، فدع مايسر لمن يحزن :

(أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب)[١٣]

مالقي في عاشوراء رداه ، الا والعشر مما يعد صداه ، حموه[١٤] المناهل العذاب ، وأباحوه المناصل العضاب[١٥] ؛ يالك من نظام نثر بالعضات الموارد[١٦] .

وَظام يريغ الماء[١٧] قد حيل دونه سقوه ذبابات الدقاق البوارد[١٨]

أعجبهم أن يتخبط غليلا ، قبل ان يتشحط قتيلا :

(ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا)[١٩]

---

(١) وكان يوم الجمعة من سنة ٦١هـ . وكانت الواقعة بالطف على شاطيء الفرات بموضع يدعى كربلاء . انظر العقد ٣/١٤١ ، ابن الاثير ٤/٧٨ ، الطبري ٦/٢٢٧ المسعودي ٣/٧١

(٢) ضربه زرعه بن شريك التميمي على كفه اليسرى ، ثم على عاتقه . انظر ابن الاثير ٤/٦٧ الطبري ٦/٢٦٠ ، المسعودي ٣/٧١

(٣) ذبحه سنان بن أنس النخعي ، وهو الذي احتز راسه . انظر الاخبار الطوال ٢٦٠ .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : «والعاديات ضبحا» والعاديات : خيل الغزاة تعدو بسرعة ، ضبحا : صوت انفاسها اذا عدت . انظر الفاظ القرآن للراغب الاصبهاني والتبيان لابن القيم .

(٥) حائلة الحلى : أي تغيرت محاسنها .

(٦) ينظر الى قول ابن خفاجة (وفاء لاشلاء كرمن على البلى) . انظر دويانه ٣٦٣ تحقيق غازي .

(٧) انظر ابن الاثير ٤/٦٧ - ٦٠ ، والطبري ٦/٢٦٠ .

(٨) انظر العقد ٣/١٤١ ، وابن الاثير ٤/٦٨ ، ٧٢ .

(٩) شطر بين من معلقة عنترة ، وروايته مختلفة . انظر الديوان ص ١٥٤ الخامعة : الضبع ، القشعم : المسن من النسور .

(١٠) أنفس مصادية : معارضة

(١١) ابن الاثير ٤/٧٠ .

(١٢) الندبة : بكاء الميت وتعداد محاسنه .

(١٣) وفي رواية : يوم المعاد . ولايُعرف قائله . انظر شرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون ، ص١٢٦ . تاريخ ابن عساكر ٤/٣٤٢ .

(١٤) حموه : منعوه ، المناهل جمع منهل : موضع الشرب على الطريق ،

(١٥) العذاب : الحلوة والمناصل العضاب : السيوف القواطع .

(١٦) العضات جمع عضة : البهتان ، والموارد: المهالك ، وفي حديث أبي بكر : «أخذ بلسانه وقال : هذا الذي اوردني الموارد - جمع موردة : المهلكة» .

(١٧) ظاميء : عطشان ، يريغ الماء : يطلبه .

(١٨) الدقاق : السيوف ، ذباباتها : أطرافها التي يضرب بها ، والبوارد : القواطع .

(١٩) الآية ٣٧ سورة الانسان رقم ٧٦ .

أتنتهب الايام أفلاذ أحمد وأفلاذ من عاداهم تتودد
ويضحى ويظمى أحمد وبناته وبنت زياد وردها لا يصرد[١]
أفي دينه في أمنه في بلاده تضيق عليهم فسحة تتورد
وما الدين الا دين جدهم الذي به أصدروا في العالمين وأوردوا[٢]

«فصل»

من عجائب الاتفاق

ومن نادر الاتفاق ، السائر في الآفاق ؛ أن قتل يوم عاشوراء ابن زياد[٣] ، وهي من خارقات الاعتياد ؛ أوجده ابن الاشتر[٤] فقده ، حين ضربه في المعترك فقده ؛ ثم أحرق جثته الخبيثة[٥] وأذهب عبيته القديمة والحديثة[٦] واتفاق آخر في ذلك المقام الاهول ، لا يتأخر في الغرابة عن رتبة الاول ؛ وهو ان دخل برأسه على علي بن الحسين[٧] وهو يتغذى ، في أخذه بما كان يحيف ويتعدى ؛ فلما رآه ، قال سبحان الله ، ما اغتر بالدنيا الا من ليس في عنقه نعمة ! لقد أدخل رأس أبي عبد الله[٨] على ابن زياد وهو يتغذى[٩] ، أليس عجيبا ؟ ان ذا لعجيب ! هذا الى وقعة جبانة السبيع[١٠]، وأشباه لها أحاد وجميع ، وما كان الدم الطاهر ليذهب ويضيع ؛ وكفى بفعل عبد الصمد بن علي[١١]وقوله في سطوه بالاموية عند انقراضه وصوله :

(ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها أخذي بثاري من بني مروان
من آل حرب ليت شيخي شاهد سفكي دماء بني أبي سفيان)[١٢]

«فصل»

مصير آل الحسين بعد استشهاده

(١) صرد الشيء : قطعه أو قلل منه .

(٢) الابيات من قصيدة لابن ابي الخصال في آل البيت ، انظر ازهار الرياض المجلد الرابع ٣٣٠ ـ ٣٣١ (مخطوط خاص) .

(٣) سنة ٦٧هـ . انظر ابن الاثير ٢١٧/٤ ـ ٢١٨ ، والعقد ١٥٦/٣ ، المسعودي ٧١/٣ ، الاخبار الطوال ٢٦٩ .

(٤) هو ابراهيم بن مالك بن الاشتر بن الحارث النخعي قائد شجاع (ت٧١هـ .) انظر ابن الاثير ٢١٥/٤ ـ ٢١٨ ، العقد الفريد ١٥٦/٣

(٥) انظر ابن الاثير ٢١٧/٤ .

(٦) العبية ـ بضم العين وكسرها وتشديد الباء ـ الكبر والفخر والنخوة . وفي الحديث ان الله وضع عنكم عبية الجاهلية .

(٧) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين ، رابع الائمة الاثنى عشر عند الامامية (ت٩٤هـ .) . انظر طبقات ابن سعد ١٥٦/٥ ، ووفيات الاعيان ٤٢٩/٢ .

(٨) يعنى الحسين .

(٩) انظر القصة في العقد الفريد ١٥٦/٣

(١٠) جبانة السبيع : موضع بالكوفة ، كان بها يوم للمختار بن عبيد . انظر معجم البلدان ٩٩/٢ وابن الاثير ١٩٦/٤ ـ ٢٠٠ .

(١١) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أمير عباسي هاشمي ، عم المنصور ، ولى للمنصور عدة مهمات ، وكذلك لولده الهادى ، ولقد فتك ببنى امية عند ولايته الحجاز (ت١٨٥هـ .) . انظر المسعودي ٢٣٨/٣ ، وابن خلكان ٣٦٧/٢ .

(١٢) البيتان لعبد الصمد السالف الذكر . انظر المسعودي ٢٣٨/٣ .

وهب الرجال تحز رؤوسهم ، وتبز نفوسهم[١]، ما للنساء بالكوفة يؤسرن ، والى دمشق يسيرن[٢] ؟ !

(بنات زياد في القصور مصانة وبنت رسول الله في الفلوات)[٣]

لا ينقضي العجب من يزيد ، يعيّر عبيد الله[٤] حملهن على الاقتاب مسافرات[٥]، ويقعد هو وبطانته لرؤيتهن سافرات[٦] ! بعد ان بعث بالرأس للبعيد والقريب ، وعبث في قرع الأسنان بالقضيب[٧] ! «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم»[٨] ؟ !

(ومقبل كان النبي بلثمه يشفي غرامه
قرع ابن هند بالقضيب عذابه[٩] فرط استضامه[١٠]
وشدا بنغمته عليه وصب بالفضلات جامه[١١]
ليضرسن يد[١٢] الندامة حين لا تغني الندامة)[١٣]

ومع قعوده لما اعتقده فتحا ، وعرضهن في الهيآت المتناهيات قبحا ؛ فقد دمعت عيناه الجمود[١٤] ، وأقر بحقهن وهو الجحود[١٥].

ولولا النعمان بن بشير[١٦]، ما جعل أحد بحفظهن يشير[١٧]؛ ذكر العزم الشرعي على أبيه[١٨]، أن ينحل مثل ما نحله كل بنيه[١٩]؛ فأجرى حكم الأصل في الفروع الكرام ، واستزاد يزيد لهم من الرعي والاحترام[٢٠]، فإلى ذلك المقام أصغى ، والى تصويب الاستئصال ألغى[٢١]، ما سر بما وقع ، حتى سيء

---

(١) انظر الاثير ٤/١٩٠ - ١٩٦ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ .
(٢) انظر ابن الاثير ٤/٧٢ - ٧٦ .
(٣) البيت لدعبل الخزاعي من قصيدته التائية الشهيرة . انظر الديوان ، وزهر الآداب ١/١٠٢ .
(٤) يعني ابن زياد .
(٥) انظر ابن الأثير ٤/٧٢ ، والطبري ٦/٢٦٦
(٦) انظر المصدرين السابقين .
(٧) انظر ابن الأثير ٩/٧٣ ، والطبري ٦/٢٢٠ ، والمسعودي ٣/٧٠ - ٧١ .
(٨) الآية ٤٤ البقرة رقم ٢ .
(٩) يريد أسنانه .
(١٠) استضامه : انتقص حقه .
(١١) الفضلات جمع فضلة : الخمر والجام : الكأس الكبيرة .
(١٢) ضرس يده : عضها .
(١٣) الأبيات لبديع الزمان الهمذاني . انظر الديوان .
(١٤) انظر ابن الأثير ٤/٧٢ ، والطبري ٦/٢٦٤ .
(١٥) انظر ابن الأثير ٤/٧٤ ، والطبري ٦/٢٦٦ ، والعقد ٣/٤٢ .
(١٦) النعمان بن بشير بن سعد صحابي بن صحابي (ت ٦٥هـ) انظر الاستيعاب ١/١٢٩ - ١٣٠ ، وطبقات ابن سعد والبلاذري ١٣٨ ، وابن الأثير ٤/٧٥ .
(١٧) قال له النعمان بن بشير «انظر ماذا كان يصنعه رسول الله(ص) بهم لو رآهم في هذه الحالة فاصنعه بهم» . انظر العقد ٣/١٤٢ .
(١٨) يعني بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري ، الصحابي الجليل : (ت ٢١هـ) . انظر الاستيعاب ١/١٧٢ ، الاصابة ١/١٦٣
(١٩) يشير الى حديث رواه البخاري عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به الى رسول الله(ص) فقال : اني نحلت ابني هذا غلاماً ، فقال : أكل ولدك نحلت مثله ؟ قال لا ، قال فأرجعه ، انظر باب الهيبة في صحيح البخاري ٢/٦٠
(٢٠) انظر ابن الأثير ٤/٧٥ ، والطبري ٦/٦٦ ، والعقد ٣/١٤٢ .
(٢١) انظر العقد ٣/١٤٢ .

وما نفع ، «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم»[١] .

«فصل»

رأس الحسين

تمثل يزيد ورأس الحسين بين يديه ، وقد أطال النظر لو ازدجر واعتبر لديه :

(نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما)[٢]

وقال لعن الله ابن سمية[٣] ، لو كانت بينه وبينه رحم ، ما فعل هذا[٤] ، «كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فإذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون»[٥] أكثر به في الآفاق المدار ، فاظهر مروان اليه البدار[٦] ؛ يرتجز[٧] ما يغيظ الايمان ، ويقول : كأني أنظر الى يوم عثمان . لو ذكر حبس الحكم[٨] بالطائف ، ما شمت بقتل الحسين بالطف ؛ لم تخلقه في مصيبته عبرة ، فمات خنقاً وفي ذلك عبرة[٩] !

أيها العاذل الذي بعذابي توكلا
عش صحيحاً مسلماً لا تعير فتبتلي[١٠]

ولته الايمان وتناقلته الركبان ؛ تسير له بل تسيل[١١]. فجثمان حيث الفرات[١٢]وجمجمة حيث النيل[١٣]:

(يا بعد مطرح جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرخج)[١٤]

«فصل»

أهان منه عبيد الله الدعي[١٥]، ما أكرم عبيد الله الشيعي[١٦]، العجب لهذين السميين كيف

---

(١) الآية ١٦٧ البقرة رقم ٢ .

(٢) البيت للحصين بن الحمام ـ وقد ردده يزيد ـ والرأس بين يديه ، وذاك ما عناه الشاعر بقوله : وشدا بنغمته الخ كما أشرنا الى ذلك أنفاً .

(٣) سمية أم زياد وهبها أبو عمرو الكندي ـ للحرث بن كلدة وكان طبيباً يعالج . انظر العقد ٣/٢٣٣ ـ ٢٣٤ وابن خلدون ٣/١٤ .

(٤) انظر ابن الاثير ٨/٧٣ ، والطبري ٦/٢٢٠ .

(٥) الآية ١٠١ سورة المؤمنون رقم ٢٣ .

(٦) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص أول ملك من بني الحكم واليه ينسب بنو مروان (تـ ٦٥هـ) . انظر ابن الأثير ٤/١٥٩ ـ ١٦٠ والمسعودي ٣/٩٤ ـ ٩٨ .

(٧) أورد له هذا الرجز الزبير بن بكار ، انظر الحلة السيراء لابن الابار ١/٢٩ .

(٨) الحكم والد مروان وقد نفاه الرسول(ص) الى الطائف .

(٩) قيل ان زوجه ام خالد غطته بوسادة وهو نائم فقتلته . انظر ابن الأثير ٤/٧٤ ، والطبري ٧/٣٤ ، والعقد ٣/١٥٢ .

(١٠) البيتان من قطعة لأبي عبد الله بن الفراء . انظر زاد المسافر ونفح الطيب ٣/٣٨٢ .

(١١) انظر ابن الأثير ٤/٧١ ـ ٧٤ .

(١٢) يعني كربلاء في العراق قرب الكوفة .

(١٣) يعني القاهرة حيث مشهد الحسين ، انظر خطط مبارك ٥/٩٢ ، مقاتل الطالبيين ٥٤ ـ ٦٧ وابن خلدون ٣/٥٣ .

(١٤) الرخج : قرية على فرسخ من بغداد وراء باب الازج . انظر تقويم البلدان ٣/٣٨ .

(١٥) يعني به عبيد الله بن زياد .

(١٦) هو عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق الشيعي المعروف بالمهدي ، مؤسس دولة العبيديين بافريقية ومصر (تـ ٣٢٢هـ) ، ابن الأثير ٨/٩٠ .

تفاوتا في النزول والسمو ، وكأنما روضا في التسمي بالولي والعدو ؛ فأقدمهما أراق دمه بحربته ، وأحدثهما نصر من زعمه في الكون من ذريته[١] ! ولما صار ملا مصر لابنائه ، جعلوا له مصنعاً[٢] تأنقوا في بنائه : فجاء للروضة نظيراً[٣]، وبما أشرب من ماء الذهب نضيراً ؛ يُقيّد الابصار جمالاً ويدله الأفكار جلالاً : قد أودع من الرخام الغريب ما أودع ، وكلام أعيد في ترصيعه وأبدي ، أبدع . وهنالك مسجد[٤] ألبست المرمر حيطانه ، وفيه حجر يصف الأشخاص لمعانه ، داخله يبادر استلامه قبل أن يقضي سلامه ؛ ويرسل دموعه ، بعدما يصل خشوعه : وقد علقوا عليه ستور الديباج ، وانفوا لمصابيحه أن تسرج في الزجاج فهي من البيضاء ، كما صفت أمواه الاضاء[٥] ، تقديساً لتلك الهامة عدمت صوب الغمامة ، وقبلها بني أبوهم المهدية[٦] بالمغرب ، وصارم صريمته غير نابي المضرب[٧] ؛ صادعاً بكلمته الخالدة في العوالم ، (اليوم أمنت على الفواطم)[٨] ؛ فقيل في تلك البنية ، ما أومأ للميتة الحسينية :

(خطت بأرجاء المغارب دار دانت لها الأمصار والأقطار
لاذت ببرد الماء لما أيقنت ان القلوب على الحسين حرار)[٩]

«فصل»

سكينة

أية فتنة عمياء ، وداهية دهياء ؟ ! لا تقوم بها النوادب ، ولا تبلغ معشارها النوائب ، طاشت لها النهى[١٠] وطارت ، وأفلت شهب الدجا وغارت[١١] ؛ لولاها ما دخل ذلك على العرب ، ولا ألف صيد الصقر بالخرب[١٢] ، وقصف النبع بالغرب[١٣] ؛ فانظر الى ذوي الاستبصار ، خضع الرقاب نواكس الأبصار :

(وان قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت)[١٤]

---

(١) قيل انه دعي ، وان انتسابه الى الطالبيين دعوى باطلة . انظر البيان المغرب ١/١٥٨

(٢) المصنع القصر ، بناه ابو رزيك الملقب بالصالح ، في خلافة الفائز سنة ٥٤٩هـ ، انظر خطط المقريزي ٢/٢٨٨ .

(٣) أي الروضة الشريفة ، وحاذى المؤلف عبارة ابن جبير . انظر الرحلة ص١٩ .

(٤) ويعرف بمسجد الحسين أو المشهد الحسيني . انظر خطط مبارك ٤/٩٠ ، والمقريزي ٢/٢٨٣ .

(٥) الاضاء : البحيرة .

(٦) المهدية : مدينة بتونس بينها وبين القيروان ٦٠ ميلاً ، أسسها عبيد الله المهدي سنة ٣٠٨هـ . فنسبت اليه . انظر معجم البلدان ٥/٢٣٠ ـ ٢٣١ ، البيان المغرب ، ١/٢٠٦ ـ ٢٠٧ . الاستبصار ١١٧ .

(٧) نبا السيف عن الضربة ينبو : كل وارتد ، والصريمة : العزيمة .

(٨) انظر البيان المغرب ١/١٥٠

(٩) البيتان لبعض شعراء افريقية بمناسبة بناء المهدية . انظر الحلة السيراء ١/١٩٢ .

(١٠) النهى جمع نهية : العقل .

(١١) يعني بهم آل البيت .

(١٢) الخرب : طائر الحبارى ، وفي المثل : (وما رأينا صقراً يزجره خرب) يضرب للشريف يقهره الوضيع . انظر حياة الحيوان ١/٢٩٠ .

(١٣) القصف : الكسر ، النبع : شجر للقسي والسهام ، ينبت في قلة الجبل ، والغرب ضرب من الشجر واحدته غربة ، يريد ان الشريف يعتدي عليه الوضيع .

(١٤) البيت لسليمان بن قتة العدوي ، انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ١/٣٩٩ ، مروج الذهب ٣/٧٤ ، البداية والنهاية ٨/٢١١ . ونسبه غير واحد لأبي دهبل الجمحي ، انظر ابن الأثير ٣/٣٠٢ ، ومعجم البلدان وزهر الآداب .

ما سكنت سكينة[١] حتى أسمعت القوم ، ما تجاوز التثريب واللوم ؛ إذ خرجوا لتوديعها ، ورغبوا في تشييعها ؛ ومصعب بن الزبير[٢] بعلها قد خذلته الكوفة وأهلها : (أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة)[٣] .

(ويلك يا قاتل الحسين لقد نؤت بحمل ينوء بالحامل !
أي حباء حبوت أحمد في حفرته من حرارة الثاكل ؟
تعال فاطلب غدا شفاعته وانهض فرد حوضه مع الناهل
ما الشك عندي في حال قاتله لكنني أشك في الخاذل)[٤] ؟!

«فصل»

مصير يزيد بن معاوية

ما عذر الأموية وأبنائها ، في قتل العلوية وإفنائها ؟ «أهم يقسمون رحمة ربك»[٥] ؟! كم دليل في غاية الوضوح ، على أنهم كسفينة نوح ؛ من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق[٦] ؛ ثم يحبسهم آل الطليق ، ويطردهم آل الطريد[٧] ؛ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد[٨] . نساؤهم أيامي أمية ، وسماؤهم أرض بني سمية[٩] :

(من عصبة ضاعت دماء محمد وبنيه بين يزيدها وزيادها)

كان الحسين يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا ، ويزيد يتلف العمر تبريحاً وعدوانا ؛ (عمرك الله كيف يلتقيان)[١٠]! افتضح بكربلاء أمره وختمه بعد ذلك بالحسرة[١١]؛ ان هذا لهو البلاء المبين[١٢]. فقل في

(١) سكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب ، تزوجت عدة رجال منهم مصعب بن الزبير ، كانت سيدة متحضرة اشتهرت بالشعر والجمال والرقة والدعابة والجرأة ، (تـ ١١٧هـ) . انظر عنها طبقات ابن سعد ٨/ ٤٧٥ . نسب قريش ص٥٩ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٥ .

(٢) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي ، شجاع وبطل وعلم من أعلام الدولة الزبيرية ، قتله جيش عبد الملك بن مروان إذ خذله اهل العراق ، استشهد سنة ٧١هـ ، وعند المسعودي سنة ٧٢هـ . انظر الطبري ، والكامل لابن الاثير والبداية والنهاية حوادث ٧١هـ ، ومروج الذهب ٣/ ١١٢ ـ ١١٧ .

(٣) من كلمة خاطبت بها سكينة أهل الكوفة ، وقد أطافوا بها عندما أرادت المدينة ، قالت : «والله لقد قتلتم جدي وأبي وعمي وزوجي مصعباً ، أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة..» ـ انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢١٢ .

(٤) الأبيات لمنصور النمري ، الشاعر العلوي ، من قصيدة له في آل البيت ، وقد اعطيت هذه القصيدة الرشيد ، فأرسل في قتل صاحبها فوجده الرسول قد مات . انظر الأغاني ١٢/ ٢٤ وزهر الآداب ٣/ ٦٦٩

(٥) الآية ٤٣ الزخرف رقم ٤٣ .

(٦) حديث شريف مشهور .

(٧) وآل الطريد : آل مروان الذي طرد رسول الله(ص) جدهم الحكم بن أبي العاص بن امية ، والد مروان .

(٨) الآية ٧٤ التوبة رقم ٩ .

(٩) يقصد بهم بني زياد بن أبيه وأمه سمية .

(١٠) وتمامه :

(أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان)

وهو لعمر بن أبي ربيعة ، انظر الديوان ، الأغاني ١/ ٢٣٥ ولسان العرب مادة عمر .

(١١) المقصود بها حرة واقم : احدى حرتي المدينة وهي الشرقية ، واشتهرت في تاريخ المسلمين بالوقعة الاليمة التي جرت ايام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ ، حيث استباحها الجيش بعد ان قتل خلقاً كثيراً فيهم وجوه وشخصيات . انظر معجم البلدان مادة حرة ٢/ ٢٤٩ . وانظر تفاصيلها في الطبري حوادث سنة ٦٣هـ ، وتاريخ ابي الفداء ٢/ ١٠٧ .

(١٢) الآية ١٠٦ الصافات رقم ٣٧ .

أيام[١] تصحيفها[٢] : لها مالىء[٣] . وطاغية هواه له ممالىء[٤] ، أنهب المدينة ثلاثاً وقتل أهله كهولاً وأحداثاً[٥] ؛ وما لبث أن قتله الجدري[٦] ، وأدبر ورايه الدبري[٧] ؛ ثم انكفأ ابنه عاجلاً وانقلب ، وصار الملك بعد أبي ليلى لمن غلب[٨] ؛ أقرضهم التسلط في السلطان ، واعتصر ما وهب لهُم العصران ؛ ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور[٩] .

«فصل»

عبد الملك وآل البيت

عبد الملك[١٠] كان أحزم من يزيد ، وأعلم بالسبيل الى ما يريد ؛ كتب الى حجاجه[١١]، وقد أشفق من لجاجه ؛ أن يجنبه دماء أهل البيت ويحترمهم ، ولا يتقبل فيهم صنع آل حرب فيحترمهم ؛ جاعلاً سبب هلكهم ، سلب ملكهم ؛ وأما بنوه فأطاعوه بغيهم وتعديهم ، وبسطوا لآل السبطين ألسنتهم بالسوء وأيديهم[١٢]؛ فافترسهم من عنابس بني العباس[١٣]، كل معروف الصول والباس ؛ قطع

---

(١) يعني أيام يزيد التي ملأها لهواً وفسوقاً ، وظلماً وطغيانا ؛ وقد افتتحها بكربلاء وختمها بالحرة ، وكانت شؤماً على الامة الاسلامية .

(٢) أي تصحيف عدد ايام يزيد منذ كربلاء ، وهي ثلاث سنين واثنان وسبعون يوماً .
والتصحيف ، ـ ويسمى جناس التصحيف ـ ان يؤتى بكلمتين متشابهتين خطا لا لفظاً ، مثل يسقى ويشقى ، واتقى وانقى ، وابقى . انظر خزانة الادب لابن حجة ص ٣٦ ، والعمدة لابن رشيق ٣٢٧/١ .
ولعل المؤلف أراد بكلمة (لها) تصحيف (ل هـ ا) ـ عدد شهور الثلاث سنوات بحساب الجمل ، وهي ستة وثلاثون شهراً ، وكلمة (مالىء) تصحيف (م ا ل ا) ـ : عدد الايام النيف على الثلاث سنوات ، وهي بحساب الجمل اثنان وسبعون يوماً . فاذا اضفنا اليها ما قبل كربلاء من ايام يزيد ، تكون مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية اشهر الا اياما . انظر المسعودي مروج الذهب ٦٣/٣ .

(٣) المليء : البهي المنظر ، وفي أبهة يزيد ، وفخامة ملكه ، يقول الشاعر :

ملك تدين له الملوك مبارك ... كادت لهيبته الجبال تزول

(٤) مالأه هواه : ساعده وأطاعه ، وانظر في مخازي يزيد المسعودي مروج الذهب ٧٧/٣ ـ ٨١ . وابن العماد ، شذرات الذهب ٦٨/١ ـ ٦٩ .

(٥) انظر مروج الذهب ٧٨/٣ ـ ٧٩ .

(٦) في شذرات الذهب ، انه توفي بالذبحة وذات الجنب ٧١/١ .

(٧) الدبرى : رأي يسنح بعد فوت الحاجة ، وفي المثل : شر الرأي الدبرى .

(٨) كنية معاوية بن يزيد عندما تولى الخلافة ، والعرب تكنى بأبي ليلى المستضعفين ، وكان معاوية هذا فاضلاً خيراً يقول فيه الشاعر :

(اني أرى فتنة حان أوائلها ... والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا)

انظر مروج الذهب ٢٠/٣ ، والطبري ١٦/٧ ، والعقد ٦٠/١ .

(٩) الدبور : ريح تقابل ريح الصبا .

(١٠) عبد الملك بن مروان بن الحكم (تـ ٨٦ هـ) خامس ملوك بني امية ، تولى الحكم سنة ٦٥هـ ، بعد موت والده مروان ، انظر عنه : الطبري حوادث ٦٥ فما بعدها ، وابن الاثير حوادث ٨٦ ، ومروج الذهب ٩٩/٣ .

(١١) الحجاج بن يوسف الثقفي (تـ ٩٥ هـ) اشتهر في ولايته بسفك الدماء وبالشدة على أعداء سيده عبد الملك ، وقد كتب اليه مرة ان يكف يده عن محمد بن الحنفية . انظر مروج الذهب ١٢٣/٣ ، كما كتب اليه مرة اخرى يقول (جنبني دماء اهل البيت فإني رايت بني حرب سلبوا ملكهم لمّا قتلوا الحسين) . انظر العقد الفريد ١٤٤ .

(١٢) اقتباس من قوله تعالى : «ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء» .

(١٣) عنابس جمع عنبس كجعفر : الأسد .

دابرهم ، وأخلي أسرتهم ومنابرهم : «هل تحس منهم من أحل أو تسمع لهم ركزا»[١] أو لم مروان الجعدي[٢] واستدعى أشرف قريش ، فدخل أكله عبد الله بن علي[٣] ليأكل ، فوقعت عينه عليه ، وهو يجيد خضم ما بين يديه ؛ فقال : ان هذا الفتى لتلقامة[٤] ، فعلى يده كانت تلك الانتقامة ؛ رب كلمة وافقت قدرا ، خافه على من بعده ، وسأله في جفظهم وعده ؛ فقال الحق لنا في دمك ، وعلينا في حرمك ؛ وهكذا فعل ، بعد أن قتل من قتل ، وأطال في دمائهم العلل والنهل[٥] :

(كالحوت لا يرويه شيء يلقمه يصبح ظمان وفي الماء فمه[٦]

«فصل»

عمر بن الخطاب وحفيده عمر بن عبد العزيز

من سفرت في الملكوت أفكاره ، أسفرت له عن كنهها أسراره ؛ سبق في الازل ، أن ينزل بآل علي ما نزل ؛ ومذ آمن الفاروق أمن الفرق ، وهجع ملء جفونه الساهد الارق [٧] ؛ أيد به الاسلام ، واجيبت فيه دعوة النبي عليه السلام[٨] ؛ فلم يكن يقرضه الا قرضا حسنا[٩] ؛ ولا ليدع حسينا يهدر دمه وحسنا ؛ اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر[١٠]. اصهر الى ابيهما . واظهر مكنون حبه فيهما ؛ فأملك على مكانها من الصغر ام كلثوم[١١]، وذرأ من ذريته المصلحة من فرق شمل الفريق المأثوم ؛ ففي حياته نصرت الرايات ، وحرزت الغايات : وفتح الاقصى والادنى ، ومنح الايمان أفضل ما تمنى ؛ وبعد مماته خرج من ضئضئه[١٢]، من دان لضوئه القمران[١٣]، وبان أنه وأباه لا اشتراك فيهما ولا اشتباه ـ لعمران[١٤]؛ فشرع في شد الشريعة ، وأسرع لسد الذريعة ؛ وجعل يرتاع من

---

(١) الآية ٩٨ مريم رقم ١٩ .

(٢) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الملقب بالجعدي نسبة لمعلمه وخاله الجعد بن درهم ، (تـ ١٣٢هـ) آخر ملوك بني أمية كان بطلاً شجاعاً وعالماً ، يعرف بمروان الحمار . انظر ابن الأثير ٥/١١٩ ، ١٥٨ . والطبري ٩/٥٤ ، ١٣٣ . ومروج الذهب ٢/١٥٥ . وسرح العيون لابن نباته ص ٢٩٢ .

(٣) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس (تـ ١٤٧هـ) هزم مروان الجعدي في الزاب ، ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ . وفتح دمشق ، وفتك بكثير من أعيان بني أمية . انظر مروج الذهب ٣/٢٤٧ ـ ٢٦٢ .

(٤) تلقامة : كبير اللقمة ، خضم الطعام : أكله بأقصى اضراسه . انظر عيون الأخبار ١/٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

(٥) العلل : الشربة الثانية او الشرب بعد الشرب تباعاً ، النهل : اول الشرب .

(٦) البيت لرؤبة بن العجاج ، انظر الديوان .

(٧) يشير الى قول عبد الله بن مسعود : (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) . أنظر طبقات ابن اسعد ٣/٢٧٠ ، سيرة ابن هشام ٢١٧ ، الاستيعاب ٣/١١٤٥ .

(٨) قال عليه السلام : «اللهم أيد دينك بعمر بن الخطاب ، وهناك روايات اخرى للحديث . انظر الطبقات ٣/٢٦٧ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٩) اقتباس من قوله تعالى : «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا» .

(١٠) عليك به .

(١١) أملك أم كلثوم : زوج منها ، وأملكه اياها : زوجه اياها . وقد تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بن علي بن ابي طالب وهي صبية . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

(١٢) ضئضئه : أصله .

(١٣) الشمس والقمر .

(١٤) عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز .

المظالم ، ويرتاح لإحياء المعالم ؛ وعندها أذن في الإملاك لمحمد بن علي أبي الاملاك[١] ؛ وكان من قبله يمنعون إصهار بني العباس لبني الحارث[٢] ، ويتحدثون أن في إحلال ذلك حلول الحادث .

(يدبر ابن آدم والقضاء يضحك)[٣]

فقضى أن قيض من صميمهم ، من كان السبب في تمزيق أديمهم وتكدر نعيمهم ؛ (إذا أراد الله أمرا اتفقت أسبابه[٤]) كانوا قد اغتروا بالاحلام ، واعتدوا في الاحكام ؛ فأمرهم بالرحمة لأولي الارحام والكف ، وحذرهم لما أنذرهم يوماً كيوم الطف[٥] ؛ فأظهروا التقيد للأمر ، بل أضمروا إلحاق زيد بعمرو : وخوفهم التلف ، وقال : عفا الله عما سلف[٦] فأمسكوا برهة عنهم ، ثم عادوا ينتقم الله منهم .. والله عزيز ذو انتقام[٧]

«فصل»

من فضائل عمر بن عبد العزيز

لولا عمر بن عبد العزيز[٨] ، ما حل الدين بالمكان الحريز ؛ قام لتجديده على رأس المائة[٩] ورام بتسديده فئة تلك الفئة ؛ عريق في الطاب الطاب[١٠] ، بين أبي العاص وآل الخطاب[١١] ؛ تنمى الصالحات اليه ، وتبدو المشابه الكريمة عليه ؛ عز بحده يوم أسلم اهل الدار ، وأخذ هو لاهل البيت بالثار ، كانت له عليه ولادة ، فضيعت لجيده تلك القلادة :

(لم يؤثروه بها اذ قدموه لها   لكن لانفسهم ما كانت الاثر)[١٢]

---

(١) تزوج محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية ، وكانت زوجة لعبد الملك بن مروان ، ومات عنها فتزوجها محمد بن علي . انظروا مروج الذهب ٣/٢٦٦ ، جمهرة انساب العرب ص ٢٠ ومحمد هذا هو ابو الملوك العباسيين ، واليه انتقلت الخلافة من العلويين اذ اوصى له بها محمد بن الحنفية .

(٢) بنو الحارث بن مالك بن ربيعة ، واليهم تنسب ريطة المذكورة آنفاً ، انظر جمهرة الانساب ٢٠ .

(٣) يشير الى حديث «اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره ..» . انظر الجامع الصغير ١/٨٦ وباب القدر من الصحيح .

(٤) ويروى من مناجاة الحق سبحانه لعبده : «لو طلبت مني التدبير لنفسك جهلت ، فكيف اذا دبرت لها ولو اخترت معي ما انصفت ، فكيف اذا اخترت علي» . انظر التنوير في اسقاط التدبير لابن عطاء الله .

(٥) يوم الطف : يوم كربلاء وهي أرض من ضاحية الكوفة انظر معجم البلدان مادة طف .

(٦) تضمين لقوله تعالى : « .. عفا الله عما سلف ..»

(٧) الآية : ٩٥ المائدة رقم ٥ .

(٨) عمر بن عبد العزيز بن مروان (ت ١٠١ هـ) ويعد خامس الخلفاء الراشدين لعدله وتقواه وخشيته ، ولكونه تولاها بالشورى ، ولم يول العهد احدا من بعده ، وكان رؤوفاً بآل البيت . انظر سيرة عمر ابن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، ومروج الذهب ٣/١٩٢ ، وابن الاثير ٥/٢٢ ، والطبري ٨/١٣٧ ، وابن خلدون ٣/٧٦ .

(٩) يشير الى حديث «ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» انظر الجامع شرح العزيزي ١/٣٧٨ .

(١٠) الطاب : الطيب ، والطاب الثانية تأكيد ، وقد أخذه من قول كثير في مدح عمر بن عبد العزيز .

يا عمر بن عمر بن الخطاب   مقابل الاعراف في الطاب الطاب

بين ابي العاص وآل الخطاب ...

انظر اللسان مادة طيب .

(١١) يشير الى إن عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب ، وابن العاص بن أمية ابن عبد شمس . انظر مروج الذهب ٣/٩٤ - ١٩٢

(١٢) البيت للحطيئة من قصيدته المشهورة يستعطف بها عمر بن الخطاب . انظر الديوان .

ما بالي إسخاط القبيل في القبول ، مع ارضاء عترة آل الرسول ؛ وهبه كأن لم يعلم بالمآل ، ولا تعمد حصاد المآل : (غلط الطبيب اصابة المقدار)[١] لو خير أبوه الاكبر[٢] في اسلام ابي طالب والخطاب ، لاختار أحبهما الى النبوة[٣] :

(شنشنة أعرفها من أخزم[٤] ومن يشابه أبه فما ظلم)[٥]

«فصل»

سليمان بن عبد الملك

يجمع الناس على أن عمر أحيا الايمان ، وأنا اخالف الى كون ذلك من سليمان[٦] ؛ سلفت له غير جريمة ، كفر بفعلته الكريمة[٧] ؛ وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا[٨] . خامر عبد الملك أعظم الاضطراب ، اذ رأى كأنه يبول أربع مرات في المحراب[٩] ؛ فدرأ ابن المسيب[١٠] من رعبه ، وقال في تأويلها يملك اربعة لصلبه[١١] ؛ فولي سليمان بعد الوليد[١٢] ، وملك هشام[١٣] اثر يزيد[١٤] ؛ لكن أبا حفص[١٥] قلدها أبو أيوب[١٦] ، فكأنما ناجته وناجاها الغيوب : ثم أدركت الاخوة النخوة ، ونافسوه الحظوة الحلوة ؛ فنودي بلسان الحال : «يا يزيد تريد وأنا أريد ، ولا يكون الا ما أريد[١٧] ؛ دع

(١) عجز بيت لابن الرومي ، وقد ضمنه قول علي (المقدار على التقدير ، حتى تكون الآفة من التدبير) . انظر الديوان ونهاية الارب ٨/١٨٥ ، وزهر الآداب ١/٦٠ .

(٢) يعني بالاب الاكبر الرسول عليه السلام .

(٣) قال (ص) اللهم أيد الاسلام بأحب الرجلين اليك : عمر بن الخطاب ، وعمرو بن هشام .

(٤) هذا عجز بيت وصدره : (ان بني ضرجوني بالدم) ويضرب مثلا في قرب الشبه ، والبيت لأبي اخزم الطائي . انظر مجمع الامثال ١/٣٦١ ، ونسبه في الاغاني الي عقيل بن غلفة المربي ، ج ١٢/٢٥٩ .

(٥) عجز بيت لرؤبة بن العجاج ، وصدره : (بأبه اقتدى عدى في الكرم) وهو من الشواهد النحوية المشهورة ومن الامثال .

(٦) يعني سليمان بن عبد الملك بن مروان .

(٧) يشير الى ما جاء في العقد في ترجمة سليمان بن عبد الملك من أنه (كانت ولايته يمنا وبركة افتتحها بخير وختمها بخير) والى ما فاخر به ولد سليمان ولد عمر بن عبد العزيز : (فما كان أبوك الا حسنة من حسنات أبي ..) . انظر العقد ٤٣/١ .

(٨) الآية : ١٠٢ المائدة رقم ٥

(٩) انظر القصة في طبقات ابن سعد ١٢٣/٥

(١٠) هو سعيد بن المسيب بن حرب بن ابي وهب المخزومي ، سيد التابعين ، واحد الفقهاء السبعة بالمدينة (ت ٩٤ هـ) . انظر طبقات ابن سعد ٨٨/٥ ، ووفيات الاعيان ٢٠٦/١ .

(١١) هم : الوليد ، سليمان ، يزيد هشام .

(١٢) الوليد بن عبد الملك بن مروان .

(١٣) هشام بن عبد الملك بن مروان .

(١٤) يزيد بن عبد الملك بن مروان .

(١٥) يعني به عمر بن عبد العزيز .

(١٦) لكن بسكون النون ، أبا حفص مفعول أول مقدم على فعله وهو قلد ، وأبو ايوب فاعل مؤخر ، أي قلد أبو ايوب أبا حفص الخلافة ، وأبو أيوب كنية سليمان بن عبد الملك وكان له ولد اسمه ايوب توفي في حياة والده ، وبه كان يكنى . انظر مروج الذهب ١٩١/٣ ، والعقد ١٧٠/٣ .

(١٧) تذكر كتب التصوف ان ابا يزيد البسطامي نودي بها بهذا الكلام .

أشجها[١] ، يقيم جهادها وحجها ، ويقوم متأودها ومعوجها ؛ وأما أنت فتفنى صبابة ، وتعنى بحب حبابة[٢] ؛ لا تدفن جيفة ، ولاتبطن خيفة ؛ (خل الطريق لمن يبني المنار به) . وعلى قدم نجلك ، ومستفزع سجلك ؛ يبين الاعتراض ويحين الانقراض ؛ فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم[٣] .

«فصل»

الدنيا حرام على بني علي

انما حرم على الدنيا ، وان تبؤوا الذروة العليا ؛ لأنَّ أباهم طلقها ثلاثا لا رجعة فيها ، وزوج الاب على الابن حرام[٤] ؛ أما هي أخون من مومس ، وهو يقول : مالي ولا جور المومسات ، تصاريفها ألوان ، وتباريحها بكر وعوان [٥] ، والاخرة خير وأبقى[٦] ، (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقى الكافر منها جرعة ماء)[٧] أغرقت في اللوم ، وهانت على ذوي الحلوم ؛ فلاحظ لديها للكرماء . ولا حض عليها للحكماء :

(فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف[٨])

قلّما انس واليها ، وطالما دنس مواليها ؛ فالنجاة منها حقا ، والنجاء عنها بعدا لها وسحقها ؛ انما يريد الله ليذهب عنها الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيرا[٩] .

«فصل»

يا حسرتا على ما فرطت (خاتمة)

«يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله[١٠] » ! قريب ينادي :

(تذكرت يوم السبط من آل هاشم وما يومنا من آل حرب بواحد
لئن رقد النصار عما أصابنا فما الله عما نيل منا براقد)

ومتقرب يشدو ـ ونعم الشادي ـ :

(مررت على أبيات آل محمد فلم أرها كأمثالها يوم حلت

---

(١) الاشج هو عمر بن عبد العزيز ، ويقال : «الاشج والناقص اعدلا بن مروان » والناقص هو يزيد بن عبد الملك . انظر العقد الفريد ١٩٣/٢ .
(٢) حبابة جارية بن عبد الملك ، كانت تتقن الغناء متأدبة مثقفة (تـ ١٠٥ هـ) . انظر اعلام النساء ، ١٩٥ .
(٣) الآية : ٥٤ ـ البقرة رقم ٢ .
(٤) اقتباس من قوله تعالى : «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف» ٢٢/٤ .
(٥) العوان : غير البكر . انظر كلام علي هذا نهج البلاغة ٣ .
(٦) الآية ١٧ سورة الاعلى رقم ٨٧ .
(٧) حديث وفي رواية تعدل بدل تزن . انظر الجامع الصغير شرح العزيزي ٢٠٢/٣ ـ ٢٠٣ .
(٨) قائله : حرقة بنت النعمان . انظر الآداب الشرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي ١٩٧/٢ .
(٩) اقتباس من الآية ٣٣ سورة الاحزاب رقم ٣٣ .
(١٠) الآية ٥٦ الزمر رقم ٣٩ .

وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت[١]

وأنا قد ران على قلبي ما أكسب ، فلا أنمي بقربه ولا انتسب ؛ (جللا كما بي فليك التبريح)[٢] ، وبما شجاني ينبغي التصريح ؛ أشهدك اللهم في رزء الشهيد[٣] ، أني أهب التهويم للتسهيد[٤] ؛ ثم لا أبرح ، ذا غليل برح ، وأليل[٥] ، يجل عن شرح ؛ مضطرب البأل ، مضطرم البلبال[٦] ؛ لا اعقب علاقة الأشجان سلوانا ، ولا أرتقب لراحة الجنان ، واقلاع ديم الاجفان ، أو انا ؛ بين يوم ألاقيه عريض المناكب ، (وليل اقاسيه بطيء الكواكب[٧] ؛ وهذا التأمين ، عما في الضمير يبين ؛ ورب لسان ، أشفى من سنان ؛ ومقول ، أمضي من مفصل[٨] ؛ الى علمك المحيط ، أكل صفاءه ، وعلى فضلك البسيط ، أقف رجاؤه ؛ فأكرمه اللهم بقبولك ، ولا تحرمه شفاعة رسولك ؛ واجعله لي بين يديك ، حجة لا تدرحض ، وحسنة لديك ، تمحو سيئاتي وترحض[٩] ؛ حتى أنعم في دار القرار ، بمجاورة الابرار ؛ ولا أندم يوم السؤال على الاعلان والاسرار ؛ انك ذو الصفح الجميل ، والمنح الجزيل ؛ ويا من ادخر ندبته للمئاب ، وافتخر بالجود فيه والاكتئاب :

سلام وريحان وروح ورحمة عليك وممدود من الظل سجسج[١٠]
ويا أسفا إلا ترد تحية سوى أرج من طيب[١١]رمسك يأرج[١٢]

كمل بحمد الله درر السمط في خبر السبط ، والحمد لله واهب التوفيق .

(١) قائله سليمان بن قتة العدوي ، انظر ديوان الحماسة لابي تمام ١/٣٩٩ .
(٢) شطر بيت للمتنبي ، انظر الديوان ١/٢٧٧ ، والوساطة ٢٢٧ . والجدال : الأمر العظيم والتبريح : الجهد والشدة .
(٣) يعني به الحسين .
(٤) التهويم : هز الرأس من النعاس ، والتسهيد : الارق .
(٥) الغليل : حرارة الحزن ، والاليل : الانين .
(٦) البلبال : البلبلة وشدة الهم .
(٧) شطر بيت للنابغة الذبياني وتمامة : «كليني لهم يا أميمة» . انظر الديوان .
(٨) كأنه ينظر الى قول المتنبي :
«جراحات السنان لها التآم ولا يلتام ما جرح اللسان»
(٩) رحض الشيء وأرحضه : غسله .
(١٠) السجسج : المعتدل الهواء .
(١١) يأرج : يفوح .
(١٢) البيتان لابن الرومي يرثي يحيى بن عمر الطالبي (تـ ٢٥٠هـ) . انظر مقاتل الطالبيين ، لابي الفرج الاصبهاني ص ٥٤٠ ـ تحقيق أحمد صقر ، وابن الاثير ٧/٥٧ ، والطبري حوادث سنة ٢٣٥ و ٢٥٠ .

مصادر التحقيق*

(أ)

— ابن الابار حياته وكتبه للدكتور عبد العزيز عبد المجيد طبع تطوان ١٩٥١/١٣٧٢ .

— الاحاطة في اخبار غرناطة لابن الخطيب طبع مصر ١٣١٩هـ .

— أحسن التقاسيم ـ للمقدسي ـ ليدن ١٩٠٩ .

— أخبار الرسل والملوك ، لابن جرير الطبري ، المطبعة التجارية القاهرة ١٩٣٩/١٣٥٧ .

— الاخبار الطوال ، للدينوري طبعة مصر ١٣٣٠هـ .

— الاستيعاب لابن عبد البر ، تحقيق البجاوي ، طبع نهضة مصر ـ القاهرة .

— الاصابة لابن حجر ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣هـ .

— الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام لعباس بن ابراهيم ـ المطبعة الجديدة بفاس ١٤٣٨/١٣٥٧ .

— اعمال الاعمال لابن الخطيب (مخطوط) .

— الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني ـ دار الفكر بيروت ١٩٥٥ .

(ب)

— البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ، طبع مصر ١٣٥١ ـ ١٣٨٥هـ .

— البيان المغرب لابن عذارى ، طبع تطوان ١٩٦٠ .

(ت)

— تاريخ الخلفاء للسيوطي ، دار التراث بيروت ١٩٦٩/١٣٩٨ .

— تفسير ابن كثير ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٤/١٣٧٣ .

— التكملة ـ لابن الابار مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٥ .

— تهذيب الاسماء واللغات لأبي زكريا النووي ، طبع مصر .

(ج)

— جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢/١٣٨٢ .

— جوامع السير ـ لابن حزم ـ تحقيق احسان عباس .

(ح)

— الحلة السيراء لابن الابار تحقيق حسين مؤنس ، طبع مصر ١٩٦٣ .

— حياة الحيوان للدميري ، مطبعة الاستقامة ١٩٦٣/١٣٨٣ ـ مصر .

(خ)

— الدرر المنتثرة ، في الأحاديث

* لم نذكر في هذا الفهرس المصادر التي قل الرجوع اليها ، اكتفاء بكلامنا عنها في التعاليق .

المشتهـرة ـ للسيوطي ـ هـامش الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي ، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٧هـ .

١ ـ ديوان ابن الابار (مخطوط) .

٢ ـ ديوان ابن خفاجة تحقيق ناجي .

٣ ـ ديوان ابن دراج ، تحقيق محمود مكي .

٤ ـ ديوان ابي العتاهية ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٤ .

٥ ـ ديوان ابي العلاء دار صادر .

٦ ـ ديوان امرىء القيس ، طبع دار صادر بيروت ،

٧ ـ ديوان بديع الزمان الهمذاني .

٨ ـ ديوان جميل بن معمر .

٩ ـ ديوان دعبل الخزاعي ، تحقيق د. عبد الكريم الأشتر .

١٠ ـ ديوان عباس بن الأحنف .

١١ ـ ديوان عبد الله بن المعتز .

ــ ديوان عمر بن أبي ربيعة ، طبع دار احياء التراث العربي ـ بيروت لبنان .

ــ ديوان عنترة ، تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ، طبع مصر .

ــ ديوان المتنبي شرح البرقوقي ، طبع مصر ١٩٣٨/١٩٥٧ .

ــ ديوان يوسف الثالث ، تحقيق عبد الله كنون .

(ذ)

ــ الذخيرة لابن بسام ـ طبع مصر .

ــ الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (مخطوط) .

(ر)

ــ الرحلة المغربية للعبدري ، تحقيق محمد الفاسي .

ــ روضة الآس للمقري ـ المطبعة الملكية ـ الرباط ١٣٨٣/١٩٦٤ .

ــ روضة الانس لأبي البقاء الرندي (مخطوط) .

ــ الروض الانف للسهيلي ، المطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٣٢/١٩١٤ .

(ز)

ــ زهر الآداب لابراهيم الحصري ، المجلد الأول طبع مصر ١٣٧٢/١٩٥٣ .

(س)

ــ السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي ، مطبعـة الاستقامـة بـالقـاهـرة ١٣٨٢/١٩٦٢ .

(ش)

ــ شذرات الذهب ، لابن العماد ، طبع لبنان .

ــ شرح نهج البلاغة بن ابي الحديد ، طبع بيروت ١٣٧٤هـ .

ــ شرح التنوير على سقط الزند ـ للمعري ، مطبعة الاسلام بمصر ١٣٢٤هـ .

ــ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، المطبعة الأزهرية ١٢٣٤هـ ـ الطبعة الاولى .

ــ شرح العزيزي على الجامع الصغير ـ المطبعة الأزهرية ١٢٣٤ .

ــ شرح النووي على صحيح مسلم ، طبع مصر ١٣٤٧/١٩٢٩ .

ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ١٩٦٤ .

(ص)

ــ الصواعق المحرقة ، لابن حجر الهيتمي .

(ط)

ــ الطبقات الكبرى لابن سعيد ، دار صادر بيروت ١٣٨٠/١٩٦٠ .

(ع)

ــ العبر لابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ١٩٥٩ .

ــ العقد الفريد لابن عبد ربه ، طبع مصر ١٣٥٣/١٩٣٥ .

ــ العمدة لابن رشيق ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة مبصر ١٩٧٤/١٩٥٥ ـ الطبعة الثانية .

ـ عنوان الدراية للغبريني ، تحقيق عادل نويهض طبع بيروت ١٩٦٩ .

ـ العواصم من القواصم ـ للقاضي ابن العربي ، نشر عبد الحميد البادسي ـ المطبعة الجزائرية بقسطنطينية ـ الطبعة الاولى ١٩٢٨/١٣٤٧ .

ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبع دار الكتب مصر ١٩٦٤ .

(ف)

ـ فتح الباري على شرح البخاري ـ لابن حجر العسقلاني ، طبع مصر ١٣٧٨/ ١٩٥٩ .

ـ فتح القدير ، للشوكاني ، طبع مصر ١٩٦٤/١٣٨٣ .

ـ فيض القدير على الجامع الصغير للمناوي ، طبع مصر ١٩٣٨/١٣٥٦ .

(ك)

ـ الكامل لابن الأثير ، طبع مصر ١٣٠٢هـ .

ـ الكشاف للزمخشري ، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان ـ ١٩٤٧/١٣٦٦ .

(ل)

ـ لسان العرب لابن منظور ، المطبعة الميرية بولاق .

(م)

ـ مجلة المعهد المصري ع١ ـ ٢ .

ـ مجمع الأمثال ، للميداني تحقيق محي الدين عبد الحميد ، طبع مصر ١٩٥٩/١٣٧٩ ـ الطبعة الثانية .

ـ المختصر في اخبار البشر لأبي الفداء ، دار الكتاب اللبناني .

ـ مروج الذهب ـ للمسعودي تحقيق محي الدين عبد الحميد ، طبع مصر ١٩٥٨/١٣٧٧ .

ـ المستصفى للغزالي ، طبع مصر ١٩٣٧/١٣٥٦ .

ـ مستودع العلامة ـ لابن الأحمر ـ تحقيق الاستاذين التركي ومحمد بن ثاويت التطواني طبع تطوان سنة ١٩٦٤ .

ـ مشارق الأنوار للقاضي عياض ، المطبعة الملكية بفاس ، ١٣٢٨هـ .

ـ معجم البلدان لياقوت الحموي طبع دار صادر ـ بيروت ١٩٥٥/١٣٧٤ .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ، مطابع الشعب ، مصر ١٣٧٨هـ .

ـ المغرب لابن سعيد ، تحقيق شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

ـ المفردات للراغب الاصفهاني ، تحقيق سيد كيلاني ، طبع الحلبي ١٩٦١/١٣٨١ .

ـ مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الاصبهاني ، تحقيق أحمد صقر ، طبع مصر ١٩٤٩/١٣٦٨ .

ـ مقدمة ابن خلدون ، طبع دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ .

ـ الملل والنحل للشهرستاني ، طبع دار نهضة مصر ١٩٦٥ .

ـ نفح الطيب للمقري ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، طبع مصر ، مع الاستعانة بطبعات اخرى .

(ن)

ـ نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة بمصر .

ـ نهاية الارب للنويري ، طبع مصر .

(و)

ـ الوساطة للقاضي الجرجاني ، تحقيق أحمد الزين عارف ، طبع مصر .

ـ اليواقيت الثمينة ، لمحمد البشير ظافر الأزهري ، طبع مصر ١٣٢٤هـ .